من أعلام الإسلام

رابع الراشدين

علي

المفترى عليه

د. عبد الحليم عويس

مصطفى عاشور

دار الاعتصام

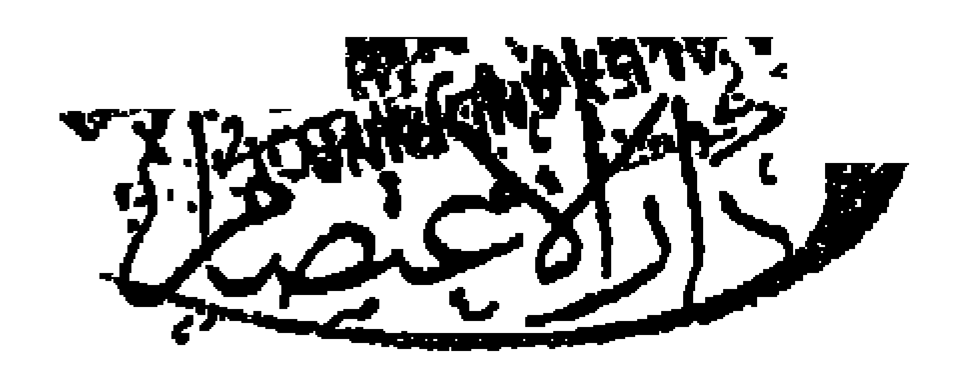
من أعلام الإسلام

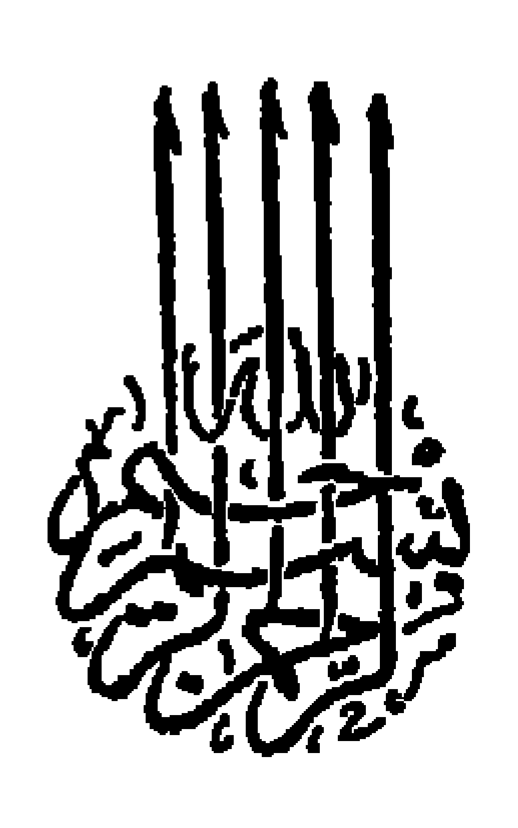
رابع الراشدين

علي

المفترى عليه

د. عبد الحليم عويس   م. مصطفى عاشور





((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا))

صدق الله العظيم

* * *

وبين يدى الخليفة الراشد الرابع .. أمير المؤمنين الفارس العادل الشجاع الزاهد .. نسوق هذه الصفحات .. لنقول فيه كلمة حق .. تبدد الغيوم التى صنعها أصدقاؤه وأعداؤه معا .. ورحم الله على بن أبى طالب .. المفترى عليه فى حياته وبعد وفاته .

المؤلفان

تمهيد

على .. المفترى عليه

على بن أبى طالب ، العالم .. الفقيه .. الشجاع .. التقى .. النقى .. الورع .. ربيب بيت النبوة والتلميذ النجيب الناجح المتخرج فى بيت النبوة . نموذج كريم تربى فى أحضان المدرسة المحمدية .. أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيرا .. يذكر له التاريخ بكل فخر السبق فى الاسلام فهو أول فتى يدخل فى الاسلام ويؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم . فاستحق أن يكون أحد العشرة المبشرين بالجنة .. ومثل على فى ذلك أخوة له .. على الدرب نفسه ، سبقوه فى شىء .. وسبقهم فى شىء .. والعظمة حظوظ .. وفى ذلك فلينافس المتنافسون .. فكانت السلسلة الذهبية بعد نور النبوة العظيم .. أبو بكر وعمر وعثمان .. ثم جاء على فختمت به الحلقة ..

لكن عليا — رضى الله عنه — شأنه شأن قميص

عثمان .. امتطى اسمه الكريم ناس مغرضون ذوو مآرب .. على رأسهم امام الباطنية عبد الله بن سبأ .. الذى خلف من بعده مدرسة ضالة .. شوهت جمال التاريخ الاسلامى .. وأضاعت الصلاة واتبعت الشهوات .. وجعلت عليا — حاشاه — وكأنه مكمل للنبوة .. فكأن النبوة لم تكتمل قبله وكأن الله لم ينزل فى كتابه الكريم ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا)) .. بل ان بعضهم لتلمح فى كتاباته وكأنه يوقر عليا ويجله ويشعر بالهيبة أمام اسمه .. فتحس وكأنه يفضله على امام الانسانية محمد عليه أفضل الصلاة والسلام — فضلا عن تصريحهم وإفكهم — فى التقليل من شأن الراشدين الذين سبقوه .

* * *

وليس على بدعا فى التاريخ .. فى هذا الشأن .. فكم من جماعة تاجرت بانسان .. ورفعته بعد موته .. بينما كانت حال حياته سبب بلائه ونكبته .. والا فمن أسلم الحسين للقتل ؟..

لكن عليا ملك للاسلام وللتاريخ الاسلامى وأبناؤه جميعا وكل المسلمين الصادقين انما هم شيعة للقرآن والسنة .. بالدرجة الأولى .. ثم لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى بهذا الترتيب . وليس ثمة مسلم صادق يستطيع ان يتنكر ليد

على فى الاسلام .. ولمناقبه .. أو لجهاده .. أيام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعده ..

والمسلمون ـ كل المسلمين ـ بالرغم ـ من اختلافهم فى رؤية دور بنى أمية فى تقدير شخص معاوية ويزيد بخاصة ـ لكنهم مع ذلك يكنون تقديرا خاصا .. ولونا من الحب لشخصية على وأبنائه .. وليس مبعث ذلك الشعور بأنه وقع عليهم نوع من الظلم فى قضية توليتهم الخلافة .. فأمر ذلك للمسلمين جميعا .. وليست الشعوب والأمم ميراثا تنقل ملكيته .. ثم ان الذين تولوها سواء أبو بكر أو عمر أو عثمان .. أو معاوية .. هم مسلمون لهم حق الترشيح لهذا المنصب وتتوافر فيهم كل شروطه .. وما يؤخذ على معاوية لا يؤخذ عليه من هذا الجانب ..

* * *

انما الحب الذى انساب فى دماء المسلمين لأسرة على .. هو جزء من الحب المنساب فى الأمة لرسولها الكريم ـ بالدرجة الأولى ـ ثم هو حب يقع جزء منه ـ لأن الطريقة التى استشهد بها بعض ابناء البيت النبوى كانت طريقة مأساوية جرحت العاطفة الاسلامية .. مهما اختلف البعض

فلماذا اذن يا ترى .. يريد بعض المغرضين تقسيم الأمة الاسلامية .. على أساس أن هناك شيعة لعلى .. وغير ذلك . .مع أن كل اهل السلف والسنة والجماعة انما هم شيعة لهذا الجيل كله .. والقرآن والسنة ..

وهل جاء على بشيء تكملة أو اضافة للاسلام .. فيتحيز له البعض ويقال للآخرين لستم شيعة ؟.. ويا ترى .. لماذا لا تكون هناك شيعة لأبى بكر .. ولعمر .. ولأبى ذر .. وللشافعى .. ومالك .. وللحسن البصرى .. وهكذا ينقسم المسلمون شيعا وأحزابا ..؟؟.

وقد أسفنا كل الأسف لكاتب كتب كتابا ملأه قيحا وصديدا من عفن فكره . فقسم الاسلام نفسه .. الى قسمين : اسلام شيعى .. واسلام لا شيعى ، ثم أجهد نفسه ليثبت أن الاسلام الأول اسلام آصل وآكد وأقدم ..

ونحن نسأل هذا الكاتب وأمثاله : ترى أى اسلام نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .. أى اسلام جاء فى القرآن ووضحته السنة القولية والفعلية والتقريرية ؟..

اننا — مخلصين — نريد هذا الاسلام وكفى ((ورضيت لكم الاسلام دينا)) .

* * *

ان عليا رضى الله عنه له موقعه العظيم من فكرنا .. ونفوسنا .. وفى داخلنا .. وفى تاريخنا .. وهو بموقعه ذاك فى غنى عن أن تلفق له الأخبار .. وتحشد لتاريخه وعلى لسانه حاشاه — الأكاذيب — بل والتنبؤات التى لا يعلمها الا الله .

انه أول من أسلم من الصبيان .. وقد تربى فى حضن

الرسول صلى الله عليـــه وسلم .. وجاهد كل الغــزوات ـــ عدا تبوك ـــ وقضى على صناديد الشرك .. وتميز بشجاعة فائقة .. وكان زاهـــدا عالما .. وكان خاتم الراشـــدين الأربعة .. واستأهل أن يتزوج بفاطمة .. وأن يؤاخيـــه الرسول صلى الله عليه وسلم .. فهل يحتـــاج الى مجـــد ينتحل له ؟!!..

رضى الله عن على .. وحرس تاريخـــه من أصدقائه قبل أعدائه ..

* * *

فى بيت النبوة

فى بيت النبوة نشأ وترعرع عـــلى بن أبى طـــــالب ابن عبد المطلب بن عبد مناف ــ رضى الله وكرم وجهه ..

أجل .. فان عليا الذى ولد فى السنة الثانية والثلاثين من مولد رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم لم يكد يقترب من سن البلوغ حتى وجد نفسه فى بيت ابن عمه نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم وخاتم المرسلين .

ففى ظـــــلال محمد صلى الله عليه وسلم استروح على نسمات الحياة الأولى ، حيث وجـــــد فى محمد عليـــه الصلاة والسلام حنان الأبوة وأخـــلاق النبوة ، وأحس بأن قدره قد ساقه الى خير ما تسوق اليه الأقدار فى حاضره ، كما أنها قد ساقته الى شىء كبير من هذا الخير حين جعلته يتفرع من هذه الدوحة الهاشمية الكريمة فى ماضيه ..

وبين الماضى الكريم الممتد من أبى طالب وعبد المطلب والذى يلتقى مع محمد فى جده الأول من ناحية الأب بينما يلتقى معه من ناحية أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف فى جده الثانى ..

بين هذا الماضى المؤثر العريق وبين الحاضر المترع بظلال البيت النبوى عاش على سنوات عمره الأولى .. رفيقا لمحمد صلى الله عليه وسلم .. وابنا .. ومستشارا .. وصديقا .. وقريبا الى قلبه وفكره أكثر ما يكون القرب ..

* * *

لقد ثقلت أعباء الحياة بأبى طالب وشعر الذين حوله من عشيرته بما يكابده .. فهرعوا بأريحية العربى الكريم اليه يشاطرونه همومه وأعباءه ..

لقد كان أبو طالب رجلا كثير الأولاد محدود الامكانيات .. ولما أصاب القحط قريشا أهاب الرسول صلى الله عليه وسلم بعميه حمزة والعباس أنيحملوا ثقل أبى طالب فى تلك الأزمة .. فأخذ العباس طالبا وأخذ حمزة جعفرا وأخذ النبىعليه الصلاة والسلام عليا ، أما آخرهم وهو عقيل فقد استبقاه أبو طالب لنفسه لميله اليه وولعه به ..

وفى بيت النبوة وجد على من الحنان والرعاية ومكارم الأخلاق ما عوضه عن حنان أبيه .

وبالرغم من حداثة سنه علىما فى هذه السن من تصور عقلى وعدم ادراك فقد أدرك على بن أبى طالب من شئون الدعوة المحمدية ما يعجز عن فهمه وادراكه أقرانه .

وقد نشأ رضى الله عنه قوى البنيان وبدت عليه ملامح الرجولة فى سن مبكرة ، يصفه معاصروه بأنه : « ربعة —

ليس بالطويل ولا بالقصير ـ آدم ـ أسمر ـ شديد الأدمة ، أصلع ، مبيض الراس ، ثقيل العينين فى دعج وسعة (سعة العين مع سوادها) ، حسن الوجه ، واضح البشاشة ، أغيد كأنما عنقه ابريق فضة ، عريض المنكبين ، لا يتبين عضده من ساعده قد ادمجت أدماجا .. يميل الى السمنة فى غير افراط ، ضخم الذراع والساق ، يتكفأ فى مشيته على نحو يقارب مشية النبى صلى الله عليه وسلم » .

ولقوته لم يكن يحفل بشتاء ولا صيف ، بل كان يلبس ملابس الشتاء فى الصيف وملابس الصيف فى الشتاء ، وسئل عن ذلك فقال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى وأنا أرمد العين يوم خيبر ، فقلت : يا رسول الله انى أرمد العين ، فقال : اللهم اذهب عنه الحر والبرد . فما وجدت حرا ولا بردا منذ يومئذ » . ولا يفهم من ذلك أنه رضوان الله عليه كان معدوم الحس بالحر والبرد ، فقد كان يرعد بالبرد اذا اشتد ولم يتخذ له عدة من دثار يقيه . وقد جاءت الأخبار بما يدل على تمتعه بقوة جسدية غير عادية . ومن أخباره أنه ربما رفع الفارس بيده فجلد به الأرض غير جاهد ولا حافل ، اذا أمسك بذراع الرجل فكأنما أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس ، وقد اشتهر عنه انه لم يصارع أحدا الا صرعه ولم يبارز احدا الا قتله .

* * *

فالأصل الكريم محتداه وحسبه .

والبيت النبوى منشؤه ونسبه .

وقوة الذاكرة والجستـم من خصائصه الفطرية رضى الله عنه .

* * *

أول المسلمين

مع بداية الأيام الأولى للاسلام .. سارع ثلاثة نفر في بيت النبوة الى الاسلام دون لجاجة من فكر أو تردد في رأى : السيدة الفاضلة والزوجة الصالحة وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد من النساء ، وعلى من الصبيان وزيد بن حارثة مولى الرسول صلى الله عليه وسلم كأول عبد أعتنق الدين الجديد .. وبهذه الخطوة تحول البيت النبوى الكريم الى الاسلام وتكونت الخلية الأولى في البناء الاسلامى الجديد .

وهنا لمحة لا يجوز أن تغيب عنا ، فان من المعروف بداية أن أعرف الناس بالانسان هم أهله ، وأنه اذا استطاع انسان أن يخدع كل الناس فان من الصعب أن يخدع أقرب الناس اليه وأعرفهم به ، ولقد قيل بحق : ان كل عظيم هو شيء عادى في بيته ومع زوجه وأهله ، فالعظيم حينما يدخل بيته فانما يدع وراء ظهره ثياب العظمة ويتجرد من الهالة المحيطة به . وقد كان من المتوقع اذن أن يتباطأ البيت النبوى في قبول الدعوة ، لكن هذه الاستجابة السريعة منهم للاسلام

تكشف بجلاء عن صدق محمد صلى الله عليــه وســـلم فى دعواه ، وكيف أنه كان فى قمة الخلق حتى بالنسبة للـذين يشاطرونه النوم والأكل ، ويعتبر اسلام على وخديجة وزيد فى حد ذاته دليلا على صدق أهلية محمد صلى الله عليـــه وسلم وعلى ما يتمتع به هذا النبى الكريم من خلق عظيم .

لقد سأل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين أسئلة محدودة :

— ماذا أراك تصنع ؟

— انى أصلى لله رب العالمين .

— ومن يكون رب العالمين ؟

— إنه اله واحد لا شريك له ، له الخلق ، وبيده الأمر، يحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير .

وأمام هذا البيان البسيط الواضح ، لم يتردد الغـلام الصغير فى أن ينطق بالشهادتين .

ومنذ ذلك الحين وعلى مع النبى صلى الله عليه وســلم لا يفارقه ، يصلى معه ويصغى اليه ويراه وهــو يتهيأ لتلقى الوحى ، وكم من آيات كان هو أول من يسمعها وهى لا تزال حديثة بمنزلها ووحيها ...

والغريب ان أبا طالب عندما رأى ولده يصلى خفيــة وراء النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وفاجأه على بأنه

قد اعتنق الاسلام .. قال له أبوه : « اما انه لا يدعـــو الا الى خير فالزمه » .

وليس ذلك فحسب بل ان أبا طالب رأى النبى صـــلى الله عليه وسلم يوما يصلى وقد وقف على الى يمينه ولمـــح من بعد ولده جعفرا ، فناداه حتى اذا اقترب منه قال له : صل جناح ابن عمك وصل عن يساره .

أو ليس ذلك دليلا آخر على صدق نبوة محمد صـــلى الله عليه وسلم ؟ !! .

وهكذا كان أبوطالب .. رجـــلا سمح الفكـــر ، دمث الخلق ، ولم يكن ينقصه الا أن يشهر اسلامه مثل ولـــديه ، الا أن ارادة الله غالبة !!

وفى مكة عاش على رضى الله عنـــه جزءا من رحـــلة الدعـــوة الى الله مناصرا ومؤازرا للرسول عليـــه الصـــلاة والسلام ، وقد بدأ هذه الرحلة وهو فى العاشرة من عمره ، وختمها بالهجرة عقيب هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى الثالثة والعشرين من عمـــره .. أى أنه قضى فترة ريعان شبابه فى العهد الأول لتأسيس الدعوة « العهد المكى » بكل ما حفل به هذا العهد من الوان الصراع والجهاد .

وليس لنا أن نتخيل اعمالا كبيرة لصبى فى العاشرة ، وبالتالى فشخصية على فى الدور المكى هى شخصية الذى يأخذ أكثر مما يعطى ...

واذا كان والده ابو طالب يقوم بعبء الدفاع عن محمد، وعمه حمزة يقوم بشيء من هذا العبء ، واذا كانت عصبية الهاشميين تقف وراء الدعوة والداعى ، فان صبيا فى العاشرة لم يكن يستطيع بالتأكيد أن يلعب دورا فى هـذه الحـرب الضروس التى أعلنها صناديد قريش على محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته .

وأكبر الظن أن عليا قد انتهز هذه الفرصة فأفرغ جهده فى التلقى عن رسول الله صلى الله عليــه وسلم واستظهار القرآن ، وحفظ ما يصدر عن رسول الله صلى الله عليــه وسلم من قول أو فعل ، ولذا استحق أن يكون (باب مدينة العلم) فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **((أنا مدينة العلم وعـلى بابها .. من أراد العـلم فيأته من بابه)) .**

وقال ابن عباس رضى الله عنه لناس سألوه عن على :

(كان جوفه ممتلئا حكمة وعلما ونجدة مع قرابته مـن رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وقال أيضا : (علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الله ، وعلم على من علم رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وعلمى من علم على) .

فنحن نرجح اذن أن عليا قد أفرغ نفسه لوظيفة العلم خلال هذه الفترة ، وقد ساعده على ذلك أنه شاب لمـا يحمل

أعباء الحياة بعد ، ولم تزل ذاكرته شابة قادرة على الحفظ والاستيعاب .

وقد أشرب قلبه فقه القرآن فى هذه الفترة ، حتى صار يقول وهوصادق فى قوله : (سلونى عن كتاب الله ما شئتم ، فوالله ما من آية من آياته الا وأنا أعلم أنزلت فى ليل أم فى نهـــار) .

نموذج لتربية محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ

خلال قرن كامل .. والحديث عن مناقب على وشمائله ... رضى الله عنه جريمة سياسية يحاسب عليها القـــانون الوضعى لبنى أمية ــ عفا الله عنهم ــ ومع ذلك ... ومع أن الحديث عن مناقبة خلال العصر العباسى ، كان حديثـــا على استحياء ... لكن بقيت شمائل على تتحدى كل عوامل الزيف والطمس .

وان هذا البروز لمناقب على ، بالرغم من كـــل عوامل الطمس ، لهو آية كبرى ، على أن تاريخنا نحن المسلمين ــ تاريخ صادق يتحدى كل الانحرافات ... ولا يصح منه فى نهاية المطاف الا الذى صح فى ضمير المسلم ، وصح فى يقين المسلم ، وتطابق مع القيم الاسلامية .. قيم الحق والعـــدل والانصاف ((**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعـــدلوا أعدلوا هو أقرب التقوى**)) .

و ... ((**كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ..**)) .

وأخلاق الجندى ... اعتبرها بعضهم مفتاح شخصية على رضى الله عنه .. هكذا ذهب الكاتب الكبير عباس محمود العقاد وتبعته فى ذلك مدرسته التى يسمونها بمدرسة التحليل النفسى ... وتمجيد البطولة الفردية .

لكننا — من منطلق اسلامى نرى أن المسلمين الصادقين كلهم جنود ... ولم يعرف فى تاريخنا — الا متأخرا — ذلك الفصل بين المدنيين والعسكريين أو ما يسمى برجال الدين ذلك أن هذه مصطلحات دخيلة الغرض منهـــا الفصل بين الدين والدولة ... ذلك لأن الجهاد فى ديننا وان كان فرض كفاية (ما لم يغز الأعداء ديار الاسلام فيصبح فرض عين) وشعار المسلم دائما (من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية) . وبالتالى فان الجندية انما هى معنى وروح يجب أن تسرى فى كيان كل مسلم ووجدانه ، حتى لو لم تتح له الظروف أن يشترك فى عمل مباشر من أعمـــال الجندية وواجباتها .

* * *

ففى المستوى العقيدى اعداد وتربية ...

وفى المستوى الأخلاقى والشرعى اعداد وتربية ...

وفى المستوى النفسى والفكرى اعداد وتربية ...

فى كل هذه المستويات تقف أمة الاسلام — ومن طليعتها على رضى الله عنه — وليس لها كلهـــا الا مفتاح شخصية

واحد ... هو مفتاح تكاملية الأخلاق والعقيـدة وتوازنها وانسجامها ، بحيث تقدم ـ فى النهاية ـ المسلم صـاحب السلوك القويم الرشيد ...

ومن هنـا .. فلا غرابة أن تتعدد مناقب على ... لا لشىء الا لأن عليا كان مسلما حقا ... وكان نموذجـا لتربية النبوة فى محضن النبوة ... طفلا وفتى وشابا .. أى صورة مصغرة من أخلاق تلك القمة السامقة التى عرفتها البشرية .. ممثلة فى خاتم الأنبياء وامامهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

* * *

وحين يحدثنا ابن حجر العسقلانى الحافظ فى «الاصابة» ان مناقب على كثيرة لدرجة أن الامام أحمـد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلى من المناقب ، فاننا لا يجوز أن نعجب ... لأن عليا مجـرد رشح للتربية النبوية ...

ينضح بكل ما فيهـا من خير .. كما ترشح الورقة الشفافة بكل ما فى الورقة الأصلية من كلام .

وفى هذا المعنى نفسه يقول الفقيه الأندلسى الكبـير الحافظ ابن عبد البر فى كتابه « الاستيعاب » : وفضائل على لا يحيط بها كتاب .

وأكبر درة تقدم فى منظومة المناقب التى لا يحيط بهـا

كتاب لهـــذا الخليفة الراشد .. وهى تؤكد كل التأكيد ، ما ذكرناه من أثر بيت النبوة فيه وتكشف عن جماع أخلاقه .

انها استحقاقه مؤخاة الرسول صلى الله عليه وسلم له ... ويروى ابن عمر ذلك فى قوله :

آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حتى بقى على ... وكان رجلا شجاعا ماضيا على أمره اذا اراد شيئا .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما ترضى ان أكون أخاك ؟ .. قال : بلى يا رسول الله ، رضيت .. قال : فأنت أخى فى الدنيا والآخرة !!

وعن على رضى الله عنه أنه كان يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها أحد غيرى الا كذاب !! .

وكان الرســــول صلى الله عليه وسلم ـــ كما أخرج الشيخان ـــ يقول لعلى : « **أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى** » .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ... ليس بفرار ... فتشوف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فأعطاها الرسول عليا » ..!! .

* * *

وما ذكرنا فى المناقب السابقة ...يدخل فى باب واحد

نريد ان ندلف منه الى بيان شمائله فى صورة مجملة مستقاة من واقع تاريخه ، فابن عمر يبين أسباب أخـــوة الرسول لعلى ... فيركزها فى سبب واحد ، ليس لأنه ابن عـــم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... بل لانه « شجاع ماض على أمره » ...

ولهذا استحق أن يكون من الرسول بمنزلة هارون من موسى ... واستحق أن يدعى له ان لا يؤذيه حر الصيف ولا برد الشتاء ... ولانه شجاع « ليس بفرار » استحق حب الله ورسوله ..واستحق أن يأخذ الراية يوم خيبر ... بينما كان يتشوف لها كثير من الصحابة ..!!.

* * *

فالشجاعة ــ بحق ــ صفة أصيلة فى على ... وهى صفة واضحة ... كادت لبروزها تطغى عــلى الصـفات الاخـــرى .

وماذا يفعل الباحثون .. وهم يرون على بن أبى طالب يتقدم يوم الخندق لمنازلة « عمرو بن عبد ود » الـــذى كان يعده العرب بألف ...

بينما لم يكن على قد جـــاوز سن الصبا إلا بسنـــوات قليلة ... لدرجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم منعــه مرتين من الاستجابة لنداء عمرو بن ود بالمبارزة !.

وماذا يفعل الباحثون وهم يرون عليا لم يهزم أمام أحد قـــط ؟...

وما كان فوز معاوية فى آخر الأمر فوز حرب وجيش وانما كان فوز سياسة ودهاء !!.

وفى بدر كان ثالث ثلاثة قدمهم النبى الكريم للمبارزة .. ولم يمهل خصمه بالرغم من حداثة سنه فأجهز عليه !!.

وفى خيبر وقع اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم عليه ... ليعطيه الراية كما ذكرنا وقد فتحها الله على يديه ..

وعندما شكا بعضهم عليا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم الرسول فقال : أيها الناس ... لا تشكوا عليا، فوالله انه لجيش فى ذات الله !! .

* * *

لكن — مع ذلك — لم تكن الشجاعة وحدها جماع خلقه ... حتى مع هذا البروز ... وحتى مع انضمام خلق الفروسية اليها .

وحقا ... فلم تكن شجاعة على منفصلة فى اى موقف عن خلق الفروسية التى رفعها الاسلام واعلى من شأنها .. فمع ثقته فى قوته الذاتية لم يبدأ احدا بقتال ... وكان ينصح ابنه الحسن بقوله : « لا تدع الى المبارزة ، فاذا دعيت اليها فأجب ، فان الداعى اليها باغ ، والباغى مصروع » .

وفى موقعتى الجمل وصفين لم يكن على البادىء فيهما .. ولا فى غيرهما .. بل انه كان يمنع جنده من الاجهاز على

جريح .. أو هارب من المعركة ... وكان يمنعهم مـن أن يسلبوا مالا أو ينتهكوا حرمة ... وكان لا يحـارب غيلة ، وانما كان يحارب حربا واضحة بعد أن يستنفد كل وسائل المسالمة ...

كان يعرف العدو عدوا حيثما يرفع السيف لقتاله ولكن لا يعادى امرأة ولا رجلا موليا ولا جريحا عاجزا عن قتـال ولا ميتا ذهبت حياته فى سبيل حروبه ، بل لعله يذكـر له ماضيه يومئذ ، فيقف على قبره ليبكيـه ويرثيه ويصـلى عليه ، وهذه الفروسية هى التى بغضت اليه أن ينال أعداءه بالسباب ، وليس من دأب الفارس أن ينال أعداءه بغـير الحسام ، فلما سمع قوما من أصحابه يسبون أهـل الشام أيام حروبهم بصفين قال لهم : **((إنى أكره أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم رجالهم كان أصـوب فى القول ، وأبلغ فى العذر ، وقلتم مكان سبكم : اللهم احقـن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهـدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق من جهله ، ويرعون عن الغى والعدوان من لهج به))** .

وقد أثرت البيئة العربية التى تحيط بعلى فى طباعه وسلوكه فقد كان ذا قلب شديد وجسد قوى ، وعزم نافذ ، تخشى لقـاءه الأبطال بحيث انه ما حمل على (على) صف الا أرجعه ، وما دخل فى زحف الا فرقه ... لكنه مـنع ذلك كله ـ ما ترك لنفسه عنـان الغضب ... يقودها ... ولا تقوده ... ولا ترك لانفعالات أصحابه وتابعيه أن تمثل

أو تقسوا أو تغدر أو تنسى المروءة العربية ... والأخلاق الاسلامية فى الحرب ... بل كان يضرب لهم المثل الأعلى فى الفروسية ... فيصلى على قتلى أعدائه ويطلب لهم الغفران ... فى موقعة الجمل .. وحين ظفر بألد اعدائه وهم عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ... عفا عنهم واحسن اليهم وأبى على جنده أن يتتبعوهم بأذى ..

وأما عمرو بن العاص الذى عرف فى على ذلك الخلق ... فقد استغله لصالحه أيما استغلال حين سقط أمامه فى صفين ، وكادت ضربة واحدة من على تقضى عليه ... الا أنه سرعان ما كشف عن سوءته ... فأشاح على بوجهه عنه ... وفى صفين ايضا وعلى ما كان بينه وبين معاوية وجنوده من اللد والعداء لم يكن ينازلهم ولا يأخذ من ثاراته وثارات أصحابه عندهم الا بمقدار ما استحقوه فى موقف الساعة ، فاتفق فى يوم صفين أن يخرج من أصحاب معاوية رجل يسمى « كريز بن الصباح الحميرى » فصاح بين الصفين : من يبارز ؟ فخرج اليه رجل من أصحاب على ، فقتله ووقف عليه ينادى : من يبارز ؟ .. فخرج اليه آخر فقتله والقاه على الأول .. ثم نادى : من يبارز ؟ فخرج اليه ثالث ... فصنع به صنيعه بصاحبيه ، ثم نادى رابعه من يبارز ؟ ... فأحجم الناس ورجع من كان فى الصف الأول الى الصف الذى يليه .. وخاف على أن يشيع الرعب بين صفوفه فخرج الى ذلك الرجل المدل بشجاعته وبأسه فصرعه ... ثم نادى نداءه حتى أتم ثلاثة ... صنع به

صنيعه بأصحابه ، ثم قال مسمعا الصفوف : يا أيها الناس ، ان الله عز وجل يقول : « **الشهر الحـــرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص** » ولو لم تبدأونا ما بدأناكم ، ثم رجع الى مكانه ...

وفى الموقعة ذاتها تتجلى أخلاق على فى الفروسية حينما حاول معاوية وجماعته أن يميتوا عليا وأصحابه عطشا بمنعهم من ورود الماء ... وهم يقولون له : « ولا قطـــرة حتى تموت عطشا » .. لكنه لما حمل عليهم وأجـلاهم عن المـاء أتاح لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده ، مع أن ذلك كان له تأثير خطير على نتيجة المعركة ...

اجل ... لقد كان على رضى الله عنه شجاعا ... وكان جنديا تتوافر له كل مقومات الجنـــدى ، من سلامة الجسم والعقل والايمان ... فضلا عن أخـلاق الفروسية التى تجلت فيها على نحو مثير وغريب ...

لكن بقى أن كل ذلك ليس الا بعض أخلاق على ... وليس الا جزءا من مفتاح شخصيته .. اما جماع أخلاقه .. وأما المفتاح الصحيح لشخصيته فهو أنه كان كمـــا أسلفنا مؤمنا صادق اليقين تربى فى بيت النبوة وحمـل بصماتها فى كل مسلك يسكنه أو خلجة تختلج بها نفسه او كلمة ينطــق بها لسانه ...

لقد كان بحق مؤمنا راشدا ... ونموذجا لتربية محمد عليه الصلاة والسلام وكفاه بهذا شرفا ...

لولا علي لهلك عمر !!

لقد كان هذا الجيل العظيم النادر ... ممن وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ((**أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا**)) .. فلم يكن صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم طلاب دنيا .. ولا من يجرون وراء المناصب أو كراسي الحكم كما يفعل الثوريون الانقلابيون وابناء الملوك الذين يقتل بعضهم بعضا بغية أعراض زائلة .. بل كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ... تلقى العلم والتفقه في الدين بغيتهم ، وصوم النهار وقيام الليل غايتهم .. والجهاد في سبيل الله أسمى أمانيهم ...

وانها لعقول سقيمة ... وأفئدة مريضة ... تلك التي تهبط بهذا الجيل الى الهاوية والسقوط .. فتجرده من هذه المعاني السامية .. وتلك المثل العليا .. وتشككه في قرآنه .. وكأن هذه الفئة لم تقرأ ولم تع قوله تعالى : ((**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء**

بينهم » وقوله تعالى : **« لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم »** .

... ويشرح الاستاذ العقاد السلوك القرآنى المتحكم فى على فيقول :

« ولنا أن نقول انه كان رضى الله عنه يتتلمذ للقــرآن الكريم ويستوحيه نصا فى عرفان اسلامه وتعزيز ايمانه ، فكانت نظرته الى الخلق والخالق نظرة قرآنية يبتكر فيها ما شاء ابتكار التلميذ فى الحكاية عن الأستاذ . ونحن لا نستغرب ابتداء النظر الفلسفى على نحو من الأنحـــاء فى عصر الامام على رضى الله عنه لأنه كان عهدا نبتت فيه أصول الفــرق الاسلامية جميعا من الخوارج والشيعة والقائلين بالرجعـــة وتناسخ الأرواح والمجتهدين فى قراءة القرآن وتفسيره عـــلى شتى المذاهب ، فأقرب شىء الى المعقول أن يكون امام العصر كله قدوة فى الاجتهاد والنظر وعنـــوانا للنوازع التى تفرقت بين أهل زمانه وتعبيرا صادقا لتفكيره ووعيه » .

وقد غالى بعض أصحاب العقول المريضة الذين استبدت بهم العواطف الهائجة وتمكنت منهم الأهواء المضللة واعمتهم نظرتهم العصبية وبلغ بهم القصور العقلى والفكرى ما جعلهم يضعون عليا فى منزلة تعدل منزلة النبوة ... وهذا احدهم وباسم التعصب الأعمى لعلى ذهب الى أن الرسول عليـــه الصلاة والسلام لم ينجح فى تكوين هذا الجيل ... بل انه (لم يقدر أن يجعل من الجيل الاسلامى الرائد الـــذى يضـــم

المهاجرين والأنصار قيما على الدعوة بعده ... لأنه لم يعبئه تعبئة رسالية وفكرية واسعة يستطيع أن يمسك بالنظرية بعمق ويمارس التطبيق فى ضوئها بوعى ويضع للمشاكل التى تواجهها الدعوة باستمرار حلولها النابعة من الرسالة) .

هكذا يقول السيد باقر الصدر فى كتيبه الانشائى الذى أطلق عليه اسم « التشيع ظاهرة طبيعية » (انظر ص ٤٠).

وهو يستمر فى هرائه ويقول :

« بل اننا نلاحظ أكثر من ذلك ان الجيل المعاصر للرسول (ويلاحظ انه لا يكتب أمام الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة عليه الصلاة والسلام وانما يؤثر بها عليا) لم يكن يملك تصورات واضحة محددة حتى فى مجال القضايا الدينية التى كان النبى يمارسها مئات المرات » (انظر ص ٥٦) .

* * *

ويظن هؤلاء وأمثالهم من الغلاة انهم بهذا — يرفعون من أسهم على رضى الله عنه — مع أنه — حاشاه — أمام المقاييس الصحيحة — لا تعرف قيمة على الا اذا وزن بنظرائه من العظماء ... أى بجيل الراشدين كله ... اما أن يبدو الأمر — كما يريد هؤلاء الغلاة — وكأن عليا كان العظيم وحده ... فهذا شيء يقلل من أسهمه ... لأن ارتفاع انسان الى مقام القيادة فى مجموعة عظيمة ... أو شعب عظيم ... ليس كارتفاع انسان فى مجموعة جاهلة غير واعية ... كما يحدث فى الشعوب

المتخلفة التى ينزو عليها كل عشية عسكرى غرور أو انقلابى مأجور وهى لا تبدى حراكا بل عليهـــا أن تقـــوم (بالتصفيق الحاد) !! وكفى !

وعظمة على رضى الله عنـــه أنه كان فى الصف الأول الذى لا يزيد على عشرة ، وسط جيل عظيم من الصحابة بلغ عدده اثنى عشر ألفا . . . فتحوا الدنيا وحطموا أكاسرة الظلم وقياصرة البغى . . .

* * *

وأى جيل هذا الذى يتحدث عنه هؤلاء . .؟ انه الجيل الذى تحدث عنه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . . . الذى لا ينطق عن الهوى . . . فقال فيما رواه الامام البخارى عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : ((**خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**)) . (قال عمران بن حصين : فلا أدرى أذكر بعـــد قرنه قرنين أو ثلاثة) . ثم أن بعدكم قوما يشـــهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهـــم السمن) .

صدق رسول الله . . . .

أليسوا ((**خير أمة أخرجت للناس**)) ؟ .

اليسوا الذين حفظوا القرآن حرفا وشكلا ؟ .

والغريب اننا لم نسمع قبل وفاة الرسول صـــلى الله

عليه وسلم ان خلافا كان بين ابى بكر وعمر وعثمان وعلى أبدا ... فلماذا يا ترى حدث هذا الخلاف فجأة بموت الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

سيول السفهاء من الناس : إنها الخلافة بعده .

ونقول لهم : انا وجدنا عمر هو الذى بايع ابا بكر وقد كان أولى به أن يطلبها لنفسه .. فمثل هذا المنصب (لعبيد الدنيا) لا يقبل التنازل وقد كان فى الامكان ان يعيش أبو بكر اطول من عمر ... فلا ينالها عمر أبدا ... ولو كان الأمر كذلك أيضا لكان أولى بعمر بدل أن يتركها شورى فى ستة — أن يوصى بها لابنه عبد الله بن عمر ... وبعضهم اقترح عليه ذلك ... لكن عمر قال : بحسب آل الخطاب أن يليها واحد منهم ، فان كان خيرا فقد أصبنا منه ... وان كان رزءا قمنا بنصيبنا منه ..

وقد عرضت الامامة على (عبد اللهبن عمر) نفسه فيمن عرضت عليه عند مقتل عثمان فهرب منها ...

فهذا الجيل الفذ الفريد فى كتاب البشرية كان يعتبر أمثال هذه المناصب رزءا ... وعبئا ... وتكليفا ... لا تشريفا ... وكان يهرب منها ... مثل ما كان بعده بأجيال أبو حنيفة يهرب من القضاء !! .

ولماذا نذهب بعيدا فى بيان حقيقة هذا الجيل الذى لا يختلف عليه الا مغرض صاحب هوى فاسد ... وعلى ابن أبى طالب نفسه ... بين فى غير موضع وموقف حقيقة

علاقته بهذا الجيل ... حين عامله فى أشد ساعات الخلاف أفضل معاملة وأنبلها ... وحتى الخوارج .. وحتى الموتى من جيش معاوية ... كل هؤلاء ... نالوا من المعـــاملة الكريمة لعلى ما هو أهله .

أما عــلاقته باخــوته أبى بكر وعثمان — وهى بيت القصيد — فيوضحها على ايضا ... فى مواقف متعددة ... أبرزها انه عاش المستشار الأمين للخلفاء الراشدين قبله .. وكان عضدهم الأمين فى كل أمر ... وليس هناك ادنى دليل على موقف مخالفة أو خروج عــلى الجماعة ... وما مأخذه على عثمان الا من باب الحب والولاء والحرص على عثمان — ولو كان يطوى جوانحه على شىء لمـا قام بنصح عثمـــان ولتركه يمشى وحده ... فى الطريق الذى مشى فيــه ... حتى انتهى الى ما انتهى اليه ... ولمـا أرسل اليه ابنيه الحسن والحسين ليقوما بحراسته ...

وكانت له استشارات ونصائح عمل بهـــا عمر ... واعتبرها يدا طولى ... حتى انه قال فى أخيه على كلمتــه المشهورة : لولا على لهاك عمر ...!!.

ولماذا يا ترى — يتوهم بعض الناس أشياء لا يؤيدها دليل صادق من وقائع التاريخ الصحيح ؟!!

بل ان الغريب أن عليا كان يرفض الخلافة ... عندما رشحه عمر لها وأخذ يحرض طلحة على قبولها ... واضطر أمام رفض كل منهم للخلافة أن يخطب على المنبر ويعلن ان

الخلافة حق الأمة تختار من تشاء (**إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم**) فكيف اذن كان يطوى صدره على شيء وهو يؤمن بأن الخلافة حق للأمة ... !!

وقد تواتر عن على كرم الله وجهه أنه كان يقول على منبر الكوفة :

(خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) — روى عنه هذا — كما يقول السيد محب الدين الخطيب — من أكثر من ثمانين وجها ورواه البخارى وغيره . ولا يوجد تاريخ فى الدنيا لا تاريخ الاسكندر ولا تاريخ نابليون — صحت اخباره كصحة هذا القول .

وكان يقول أيضا : (لا أوتى بأحد يفضلنى على ابى بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى) — ولهذا كان الشيعة المتقدمون — الذين ليسوا باطنية — متفقين على تفضيل أبى بكر وعمر .

وقد بلغ التقدير والحب من على لسابقيه فى الخلافة أن سمى بعض أبنائه بأسمائهم ... بعد الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية ، كان أبناء على هم : أبو بكر وعمر وعثمان .. كما أن أم كلثوم الكبرى بنت على ... كانت زوجة لعمر بن الخطاب !!

فأى جيل هذا الذى يتحدثون عنه ؟ أنهم — حقيقة — من سفههم الممعن فى هبوطه ...

لا يستطيعون ... حتى أن يتخيلوه فى سموقه ... أنه جيل فريد فذ — رضى الله عنهم ورضوا عنه — ولا نامت أعين الخبثاء !! .

بين على وعثمان

كان من الطبيعى وفى ظل المجتمع الاسلامى المفتـوح الذى يسمح بالنقد ولا يجد فى ذلك حرجا ولو كان النقـد موجها لكبار المسئولين على غرار ما كان يحدث فى عهد عمر حيث تجلت الحرية الحقيقية فى أسمى معانيها وفى أجمـل مظاهرها بحيث أصبحت حرية النقـد وحرية الفرد وعدالة الحكم التى سادت فى عهد خلفاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنشودة يتغنى بها الناس الى عهدنا الحاضر ..

نقول كان من الطبيعى ان يكون الامـام على كرم الله وجهه كواحد من افراد الرعية من الناقدين لسياسة عثمـان وبطانته التى حجبتـه عن قلوب رعاياه ناصحا للخليفـة باقصاء تلك البطانة وتبديل السياسة التى تزينها له وتغريه باتباعها وصم الآذان عن الناصحين له بالاقلاع عنها .

وبالرغم من ذلك كان رضى الله عنه أول من يسارع بالغوث كلما هجم الثوار على تلك البطانة وهموا باقصائها عنوة من جوار الخليفة .. فقد كان يرى عليه واجبا ادبيـا ودينيا نحو الامام وجمع الكلمة وكان نابذا للفرقة كارهـا

للفوضى بدليل انه فرغ ولديه الحسن والحسين ، بعدما تفاقمت الأوضاع وبدت نذر الشر للدفاع عن الخليفة وصد الثوار عنه .. لقد كان على رضى الله عنه فى موقف لا يحسد عليه فهو من ناحية يرى نفسه مسئولا عن الخليفة امام الثوار .. وفى الوقت نفسه مسئولا عن الثوار امام الخليفة ...

جاء الثوار مرة من مصر خاصة يتخطون الخليفة اليه ويعرضون الخلافة عليه ، فلقيهم اسوأ لقاء ، وانذرهم لئن عادوا اليها ليكونن جزاؤهم عنده وعند الخليفة القائم جزاء العصاة المفسدين فى الأرض ...

وجاءوا مرة أخرى وحجتهم ناهضة ، ودليل التهمة التى يتهمون بها بطانة عثمان فى أيديهم .. جاءوا بالخطاب الذى وجدوه فى طريق مصر مع غلام عثمان يأمر عامله بقتلهم بعد أن وعدهم خيرا .. واجابهم الى توليه العامل الذى يرضيهم . فلم تخدعه حجتهم الناهضة ولم يشا ان يمالى لهم فى ثورتهم واحتجاجهم من جراء ذلك الخطاب المشكوك فيه وجعلهم متهمين .. مسئولين .. بعد ان كانوا متهمين.. سائلين .. فقال لهم : وما الذى جمعكم فى طريق واحد .. وقد خرجتم من المدينة متفرقين .. كل منكم الى جهة ؟! ..

وكانت حيرة على بين التقريب والابعاد اشد من حيرته بين الخليفة والثوار . فكان يؤمر تارة بمبارحة المدينة ليكف الناس عن الهتاف باسمه ، ويستدعى اليها تارة أخرى ليردع

الناس عن مهاجمة الخليفة .. فلما تكرر ذلك قال لابن عباس الذى حمل اليه رسالة عثمان بالخروج الى ما له فى ينبع : يا ابن‌عباس ما يريد عثمان الا أن يجعلنى جملا ناضحا بالغرب (الدلو) اقبل وأدبر ، بعث الى أن أخرج ، ثم بعث الى أن أقدم ، ثم هو الآن يبعث الى أن أخرج .. والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما ...

ثم بلغ السيل الزبى ، كما قال عثمان رضى الله عنه .. فكتب الى على يذكر له ذلك ويقول : ان أمر الناس ارتفع من شأنى فوق قدرى وزعموا أنهم لا يرجعون دون دمى وطمع فى من لا يدفع عن نفسه .

فان كنت مأكولا فكن خير آكلى
والا فأدركنى ولما أمزق

فعاد على وجهد فى انقاذ الخليفة جهده ... ولكنه يعالج داء استعصى دواؤه .. وابتلى به أطباؤه .. ووعد الخليفة وعده الأخير ليصلحن الأحوال ويبدلن العمال ...

وأحاطت به بطانته كدابها فى اثر كل وعد من هذه الوعود ، تنهاه أن ينجز وتخيفه من طمع الناس فيه ، ان هو أنجز ما وعدهم حين توعدوه ..

ويعلق الأستاذ العقاد على هذه الأحداث فيقول :

وكانت المرأة أصدق نظرا من الرجال فى هذه الغاشية التى تضل فيها العقول ، فأشارت عليه امرأته السيدة نائلة

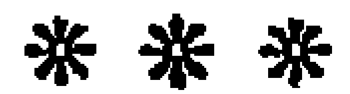
باسترضاء على والاعراض عن هذه البطانة ... ولم يكن أيسر على بطانته من اقناعه بضعف هذا الراى بعد سماعه من امرأة ضعيفة ... فكان مروان يقول : والله لاقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها ..
وكان عثمان — رضى الله عنه — يأذن لمروان ليكلم الناس فلا يكلمهم الا بالزجر والاصرار كما قال لهم يوما : ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب ... شاهت الوجوه ... جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا .. ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن مغلوبون على ما فى أيدينا ...

هجم الثوار على باب الخليفة — فمنعهم الحسن بن على وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وطائفة من أبناء الصحابة .

واجتلدوا فمنعهم عثمان وقال لهم أنتم فى حل من نصرتى ، وفتح الباب ليمنع الجلاد حوله ، ثم قام رجل من أسلم يناشد عثمان أن يعتزل فرماه كثير بن الصامت الكندى بسهم فقتله ... فجن جنون الثوار يطلبون القاتل من عثمان ولكنه يأبى أن يسلمهم ويقول لهم : لم أكن لأقتل رجلا نصرنى وأنتم تريدون قتلى ... وعز على الثوار أن يدخلوا من الباب الذى كان قد أغلق بعد فتحه ... فاقتحموا الدار من الدور التى حولها ... وأقدموا على فعلتهم النكراء بعد احجام كثير ...

ونقل الخبر الى المسجد وفيه على جالس فى نحو عشرة

من المصلين ، فراعه منظر القادم وسأله : ويحك !! ما وراءك ؟ ... قال : والله لقد فرغ من الرجل ... فصاح به : تبالكم آخر الدهر . وأسرع الى دار الخليفة المقتول .. فلطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله ابن الزبير .. وجعل يسأل ولديه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ فأجاب محمد بن طلحة : لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن ... لو دفع مروان ما قتل .



كيف صارت الخلافة لعلى ؟

قال سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالأمر ... والمصريون يلحون على ((على)) وهو يهرب الى الحيطان — البساتين — ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ... والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم .. فقالوا فيما بينهم : لا نولى أحدا من هؤلاء الثلاثة .. فمضوا الى سعد بن ابى وقاص وقالوا : انك من اهل الشورى ، فلم يقبل منهم ... ثم راحوا الى ابن عمر ، فأبى عليهم ... فحاروا فى أمرهم ، ثم قالوا : ان نحن رجعنا الى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف النـاس فى أمرهم ولم نسلم ... فرجعوا الى على فألحوا عليه ... وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس ... وكلهم يقولون لا يصلح لها آلا على ...

ولما كان يوم الجمعة وصعد الى المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء ...

فقال قائل : انا لله وانا اليه راجعون ... ثم الزبير ، ثم قال الزبير : انما بايعت عليا واللج عاى عنقى والسلام .

وهذا الخبر على وجازته قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة عند مقتل عثمان ... وربما كان أشدهم طلبا لها طلحة والزبير اللذين أعلنا الحرب عاى على بعد ذلك ... فقد كانا يمهدان لها فى حياة عثمان ويحسبان أن قريشا قد أجمعت أمرها الا يتولاها هاشمى وأن عليا وشيك أن يذاد عنها بعد عثمان كما ذيد عنها من قبله ... وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تؤثر أن تئول الخلافة الى واحد من هذين او الى عبد الله بن الزبير لأن طلحة من قبيلة تيم والزبير زوج أختها أسماء .. وتأييد السيدة عائشة لواحد منهما مدعاة أمل كبير فى النجاح .

لقد قبل — رضى الله عنه — الخلافة على مضض ... قبلها وهى أشد ما تكون عبئا ... وامتحانا ... كما قبلها من قبل أخواه أبو بكر وعمر ... لقد جاء الناس اليه فزعين (وما رأعه الا والناس تعرض الأمر عليه ، ينهالون عليه من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان (الحسن والحسين) وشق عطفاه ، مجتمعين حوله كربيضة الغنم ، يدعون الى مبايعته ، وهو يصيح بهم : دعونى والتمسوا غيرى ... فإنا مستقبلون أمرا له وجوه والوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول وان الامامة قد أغامت (أظلمت) والمحجة قد تنكرت ، واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب ... وان تركتمونى

فأنا كأحدكم . ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم .. وأنا لكم وزيرا خير لكم منى أميرا ...) .

فعلى اذن قد تولى الخلافةفى ظروف نكدة ... وعلى كره منه ... وانقاذا لأمة يوشك عقدها أن ينفرط .

ثم بدأ بتنفيذ سياسته ... التى كان أبرز دعائمهـا ومهامها الأولى من وجهة نظره لاصـلاح الخلـل وراب الصـداع :

● المساواة بين الناس فى المـال وعدم المحاباة لذوى القربى .. حتى تستريح نفوس الناس .

● الأخذ برأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى عدم السماح للصحابة الكبار بالانسياح فى الأمصار وحجزهم الى جواره فى المدينة حتى لا يفتتن بهم الناس .

● عزل الولاة الذين دارت حولهم الشبهات .. وكانوا أسباب ألفتنة .

● اعادة القطائع التى منحها عثمان لبعض اقربائه الى بيت المال درءا للشبهات ، وتهدئة للخواطر واخذا بالأحـوط من الرأى .

● محاكمة قتلة عثمان ... التى كان البعض وبخاصة المتاجرون بقميص عثمان يعتبرونها المهمة الأولى ... بينما كان على يعتبرها المهمة الأخيرة . ويرى — رضى الله عنه —

ان ما يتعلق بالأمة أولى بالتقديم ... وأما القصاص لمن قتل فبالرغم من ضرورته ، فهــو ليس المشكلة الكبرى التى تستحق أن تهمل أمور من أجلها أمور الأمة .

أجل ... لقد قبــل على الخلافة كما يقبل الانســان القضاء الذى يضعه فى مكان المنقذ لأمته . فعلى من هــذا الجيل الفريد الفذ الذى ينظر للحكم على انه تكليف لا تشريف، لان هذا الجيل لم يكن ــ بحكم إيمانه ــ يستطيع ان يظلم .. ولأن هذا الجيل ــ بحكم تطبيق الشريعة ــ لم يكن يستطيع ان يطغى أو يجور او يسرق اموالا يودعها من وراء الاسوار ــ فى حساباته السرية فى بنوك فارس او الروم ... او لندن أو سويسرا .. !!! .

****

وبدأ الصراع ضد على

وما إن تولى على — رضى الله عنه — امارة المؤمنين حتى ثار عليه هؤلاء الطامعون ، فقد ثار عليه أولا طلحة واصحابه يطالبونه بدم عثمان ، وهم لم يدافعوا عنه فى حياته بعض ما دفع على عنه . وكان عثمان كثيرا ما يقول : ويلى من طلحة ، أعطيته كذا وكذا ذهبا وهو يروم دمى ... اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه . وساء ظن الناس بنقمة طلحة على عثمان حتى حدث بعضهم أنه رآه يوم مقتله يرمى الدار ويقود بعض الثائرين الى الدور المجاورة ليهبطوا منها الى دار عثمان . وان كان هذا لا يستند الى القوة ، فانه ينم عن سوء ظن الناس بصداقة طلحة بعثمان .

أما عن معاوية فقد راح يهتم بدم عثمان ، وعلل اتهامه لعلى بتقصيره فى القود من الثائرين ، وهم ألوف يحملون السلاح وهو لم يسكن بعد الى سلطان يعينه على القود من هؤلاء الألوف المسلحين . فماذا صنع معاوية بقاتلى عثمان حين صار الملك اليه ووجب عليه أن ينفذ العقاب الذى من أجله ثار واستباح القتال ؟ .

انه اتبع عليا فيما صنع وابى أن يذكر الثار المقيم المقعد وقد نكروه به والحوا فى تنكيره . ولقد كان أول ما سمعه يوم زار المدينة ودخل بيت عثمان صيحة عائشة بنيته وهى تبكى : وا أبتاه . فلم تزده هذه الصيحة المثيرة الا اصرارا على الاغضاء والاعفاء .. وقال لها يعزيها : يا ابنة أخى ان الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا ، واظهرنا لهم حلما تحته غضب ، واظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره . فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا . ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين .

ورجع على رضى الله عنه الى خطة أبى بكر وعمر فى تجنيب الصحابة الطامحين الى الامارة فتنة الولايات ، مخافة عليهم من غوايتها وابعادا لهم من دسائس الشيع والعصبيات .. فلما طالبه طلحة والزبير بولاية العراق واليمن قال لهما : بل تبقيان معى لآنس بكما ، وسأل ابن عباس : ما ترى ؟ فأشار بتولية الزبير البصرة وتولية طلحة الكوفة . فقال على : ويحك : ان العراقين بهما الرجال والأموال ... ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ، ويضرا الضعيف بالبلاء ، ويقويا على القوى بالسلطان ، ولو كنت مستعملا أحدا لضره أو نفعه لاستعملت معاوية على الشام، ولولا ما ظهر من حرصهما على الولاية لكان فيهما رأى .

نعم : ان هذه السياسة أغضبت منافسيه وطالبى

المنفعة الدنيوية على يديه ، ولكن السياسة الأخرى كانت تغضب أنصاره ولا تضمن له رضى المنافسين ودوامهم على الرضى والوفاق بينهم في تأييده .

ولم تمض أيام معدودة على مبايعته — رضى الله عنه حتى انتظمت صفوف الحجاز كله له أو عليه، فكان معه جميع الشاكين لأسباب دينية أو دنيوية ، وكان عليه جميع الولاة الذين انتفعوا في عهد عثمان ، وجميع الطامعين في الانتفـــاع بالولاية والأموال العامة وحالت الخلافة الجديدة بينهم وبين ما طمعوا فيه وعلى رأس هؤلاء طلحة والزبير .

* * *

لماذا رفض على اقرار ولاة عثمان على أعمالهم وأجل إقامة الحد على قتلة عثمان ؟

وانصافا للحق وجب علينا أن نبين لماذا طلب على تأجيل الحد من قتلة عثمان — وهذا ما وضحه على نفسه اذ وضح لطلحة والزبير واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طالبوه باقامة الحد على من اشترك فى دم عثمان ، فبين لهم أن القوم الذين فى أيديهم دم عثمان يملكون اهل المدينة واهل المدينة لا يملكونهم ، وقد صارت اليهم العيدان وفاءت اليهم الأعراب وبأيديهم الحول والطول بالمدينة ، وأهلها لا يقدرون منهم كل شىء ، وطلب اليهم انظاره حتى تهدأ الحال ويتمكن من اخذ المجرمين بذنوبهم .

دخل عليه المغيرة بن شعبة وكان داهية فقال لعلى : ان على حق الطاعة والنصيحة وأن الرأى اليوم تحرز به ما فى غد وان الضياع اليوم تضيع به ما فى غد ، اقرر معاوية على عمله واقرر ابن عامر على عمله واقرر العمال على اعمالهم حتى اذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت . فقال على : أنظر . وعاد اليه المغيرة من الغد

فقال : انى اشرت عليك بالأمس برأى ، وان الرأى أن تعاجلهم بالنزوع فيعرف السامع من غيره وتستقبل أمرك ، ثم خرج . وتلقاه ابن عباس ـ وكان قد قدم من الحج بعد مقتل عثمان ـ فقال لعلى : رأيت المغيرة خرج من عندك ففيم جاءك ؟ قال : جاءنى أمس بذيه وذيه وجاءنى اليوم بذيه وذيه (أى بهذه وهذه) . فقال : أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد غشك . فقال له على : ولم نصحنى ؟ قال : لانك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا ، فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولى هذا الأمر ، ومتى تعزلهم يقولون أخذ هذا الأمر بغير شورى ، وهو قتل صاحبنا ، ويؤلبون عليك فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق مع انى لا آمن طلحة والزبير ان يكرا عليك . فقال على : أما ما ذكرت من اقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير فى عاجل الدنيا ولاصلاحها . وأما الذى يلزمنى من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولى احدا منهم أبدا فان أقبلوا فذلك خير لهم وان أدبروا بذلت لهم السيف . قال ابن عباس : فأطعنى وادخل دارك أو الحق بمالك ، بينبع فان العرب تجول وتضطرب عليك فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا ، فأبى على وقال لابن عباس : سر الى الشام فقد وليتكها . فقال ابن عباس : ما هذا برأى ، معاوية رجل بنى أمية وهو ابن عم عثمان وعامله على الشام ولست آمن أن يضرب عنقى بعثمان ، وان أدنى ما هو صانع أن يحبسنى ويتحكم على . فقال على : ولم ؟ قال : لقرابة ما بينى وبينك، وأن كل ما حمل عليك حمل على ، ولكن أكتب الى معاوية فمنه وعده . فأبى على .

كيف صارت الأحداث بعد تولى على الخلافة ؟

أخذت الأحداث تترا بعد تولى على واضطربت الأوضاع وتفاقمت الأمور بعد أن أطلت الفتنة براسها .. ومن المفيد أن نسرد هذه الأحداث فى نقاط موجزة .

١ ــ العمال الجدد :

وزع على عماله الجدد الذين توخى فيهم الصـــلاح والدين على الأمصار فمنهم من منع من الدخول ومنهم مــن هدد بالقتل .. وتفرق الناس الى شيع وأحزاب بين مؤيدين ومعارضين لعلى وخاصة أهل الكوفة والبصرة فهم عـــلى افتراق شديد منه .. وكان من الطبيعى أن يكون وراء هذه الأحداث المنتفعون والغوغاء ومثيرو الفتن الــذين ينمون فى هذه الأجواء المضطربة يستفيدون من هذه الأوضاع .. وبلغ التمرد حــده حينما أرسل على الى معاوية يطلب اليــه أن يبايعه .. فلم يرد معاوية جوابا وأصر على استثمار مقتــل عثمان والمتاجرة بقميصه ..

٢ ـ اعلان القتال على أهل الفرقة :

رأى على أن الفرقة قد استفحلت ولابد من قمعها ، فدعا ابنه محمد ابن الحنفية فدفع اليه اللواء ، وولى عبد الله بن العباس ميمنته وعمر بن سفيان ميسرته وابا ليلى عمر بن الجراح مقدمته ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس .. ثم قا موخطب فى أهل المدينة فدعاهم الى النهوض فى قتال أهل الفرقة ، وبينما هم كذلك اذ جاء الخبر عن أهل مكة أن القائم على رأس هذه الفرقة : طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين فقام فى‌الناس وأعلمهم بذلك .. وأنذرهم بقتالهم ان لم يكفوا عنه .. فاشتد الأمر على أهل المدينة واثاقلوا . . وشاع بينهم التمرد حتى ان عبد الله بن عمر رفض نصرة على حينما أراد أن ينهض معه ليكون للناس أسوة وكان جوابه : أنا رجل من أهل المدينة فان يخرجوا أخرج وان يقعدوا أقعد ، ولسان حال أهل المدينة يقول : لا .. والله ما ندرى كيف نصنع فان الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضىء لنا ويسفر . ولم يقم مع على من أهل بدر سوى ستة نفر .. وبينما يجد على هذا التخاذل حوله والتثاقل من أصحابه والتردد نجد معاوية وقد التف حوله أهل الشام يناصرونه ويعضدون موقفه ، فكان هناك الحزم والترابط بينما هنا التفكك والتنافر . أما فى مكة فقد اجتمع المتآمرون على على المتمثلون فى طلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عامر ويعلى ابن أمية وغيرهم واتفقوا على أن ينطلقوا الى البصرة ونادى مناديهم : ان أم المؤمنين وطلحة

والزبير شاخصون الى البصرة فمن كان يريد اعزاز الاسلام وقتال المحلين والثأر لعثمان .. فليدخل معنا .. فتبعهم الف من المجهزين بالمال والسلاح .. وارادت حفصة الخروج فمنعها عبد الله بن عمر .. وسار معهم مروان وسائر بنى أمية .

٣ ـ انقسام اهل البصرة على أنفسهم :

انطلقت عائشة واشياعها المطالبون بدم عثمان الى البصرة .. فلما دنوا منها خرج اليهم عثمان بن حنيف والى على على البصرة وارسل اليهم يسأل : ماذا يريدون ؟ .. فأجابت عائشة بأن الغوغاء من اهل الأمصار ونزاع أهل القبائل غزوا حرم رسول الله واحدثوا فيه الأحداث وبذلك استوجبوا فيه لعنة الله ورسوله مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا غدر . ولما سأل طلحة والزبير عن سبب قدومهما .. قالا : المطالبة بدم عثمان .. وهنا عزم عثمان بن حنيف على منع القوم من دخول البصرة وخطب الناس خطبة طويلة بين لهم فيها موقف طلحة والزبير وهما اللذان قد بايعا عليا .. وانتقد بعض الناس موقف السيدة عائشة وقال لها احدهم وهو حارية ابن قدامة السعدى : يا ام المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح !! .. انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وابحت حرمتك . انه من راى قتالك فانه يرى قتلك .. ان كنت خرجت طائعة فارجعى الى منزلك .. وان كنت أتيت مستكرهة فاستعينى بالناس ..

وخرج شاب من بنى سعد الى طلحة والزبير فقال : أما أنت يا زبير فحوارى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأما أنت يا طلحة فوفيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيدك وأرى أمكما معكما .. فهل جئتما بنسائكما ؟ .. قالا : لا .. قال : فما أنا منكما فى شىء ... وانقسم الناس من أهل البصرة الى فريقين : فريق يناصر عليا .. وآخر يناصر حزب عائشة ..

واستتبت الأمور بالبصرة بعد قتال بين عثمان ومن معه وبين طلحة والزبير وأنصارهما ..

ولما بلغ عليا أخبار طلحة والزبير وعائشة فى البصرة عدل عن المسير الى الشام وبعث الى أهل الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن عوف ليستمليهم اليه ثم سار والناس من القبائل يتلاحون به حتى نزل على ذى قار وقد وافاه عثمان ابن حنيف وبلغه ما كان من شأن قتلة عثمان .

وقد فشل رسولاه الى الكوفة فى مهمتهما نتيجة لتقاعد والى الكوفة أبو موسى الأشعرى والذى قال لهما : لا نقاتل أحدا حتى نفرغ من قتلة عثمان ... وعاد فأرسل ابن عباس والأشتر ليجمعا الناس على أمره ولكنهما عادا كسابقيهما ، فأرسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر وهناك خطب الحسن بالناس فوضح لهم مقاصدهم ودعاهم الى اجابة أميرهم وقال لهم : انى غاد فمن شاء منكم فليخرج على الظهر (البر) ومن شاء فليخرج فى الماء ... فخرج معه تسعة آلاف

حتى وصلوا الى ذى قار وعلى بها . فقال لهم على : قد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من أهل البصرة فان يرجعوا فذاك ما نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدأوا بظلم ، ولن ندع أمرا فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله .

٤ ـ وكاد الصلح أن يحدث :

ولما حضر أهل الكوفة دعا على القعقاع من ساداتهم وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : الق هذين الرجلين (يعنى طلحة والزبير) يا ابن الحنظلة فادعهما الى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ... وقدم القعقاع البصرة فبدأ بعائشة وثنى بطلحة والزبير .. وأخذ يبين لهم خطأ موقفهم ، وناشدهم أن يكونوا مفاتيح خير والا يعرضوا البلاد للبلاء ، وما زال يحدثهم حتى قام له القوم اعجابا واجلالا وقالوا له : أحسنت وأصبت ، فان جاء على بمثل ما قلت صلح الأمر ...

ويبدو ان هذا القول قد وقع من نفس عائشة وطلحة والزبير أحسن وقع وانه حملهم على ايثار العافية وما فيه الاجتماع ونبذ الفرقة ورتق ما فتقاه وما أجمل ذلك لو تم .

ورجع القعقاع الى على وأخبره بما كان منه مع القوم ومنهم ، فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح . ثم أمر على بالرحيل .

* * *

٥ ــ كيف اشتعلت الفتنة من جديد ؟! ...

الصيد فى الماء العكــــر وركوب الموجة هو طـــابع المتسلقين وديدن البطانات الفاسدة والشلل المتعفنة ، الذين لا يستتب لهم أمر مع الاستقرار وسكون الأوضــاع .... وهذه الشراذم ترى أن الصلح وجمع الشمل خطر عليهـــا وتهديد لنفوذها وتقليص لدورها المشبوه ...

ولما كان أمر الصلح لا يضر أحــدا من الأمة ســوى المتاجرين بقميص عثمان ، لأن حيـــاتهم لا تكون الا بدوام الشقاق بين على وخصومه ، ولهذا أشفقوا عــلى أنفسهم أن يكون هذا الصلح على أعناقهم ، فاجتمــع رهط منهــم وعلى رأسهم ابن السوداء وخـــالد بن ملجم ، فتشاوروا فيما يصنعون ، والهمهم شيطانهم بخطة خبيثة .. قالوا : اذا اجتمع الناس غدا واصطلحوا فليس الصلح الا علينا ، وأشار بعضهم بقتل على وطلحة حتى تكون هذه بتلك فيغفر الناس لهم ما أحدثوا بعثمان ، ولكن هذا الرأى لــم يحظ بموافقتهم ، فقال آخر : ان عزكم فى خلطة الناس فصانعوهم واذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظــر فاذا من أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع ويشغل الله عليــا وطلحة والزبير عما تكرهون .

ولما وصل على بعد ذلك الى البصرة وقد بيتت هــــذه الطائفة المارقة المسماة بالسبئية (نسبة الى عبد الله بن سبأ) فى أنفسهم أمرا وهو لا يعلم من امــرهم شيئا ، ارســـل

الى القوم : (ان كنتم على ما فارقتم القعقاع عليه فكفوا وأقرونا ننزل وننظر فى هذا الأمر) . فنزلوا والقوم لا يشكون فى الصلح ومشت السفراء بين الفريقين وبات الناس يداعبهم أمل السلامة والعافية ، راجين من الله أن يقى الأمةالاسلامية شر هذه الفتة .

ولكن السبئية كانوا قد صمموا على أمر فقاموا فى جوف الليل ووضعوا السلاح فى أهل البصرة ، فلما سأل طلحة والزبير عن ذلك ، متعجبين ، أجاب السبئية : لقد طرقنا أهل الكوفة ليلا ، فقالا : قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وانه لن يطاوعنا .

وعلم على بمقولة الزبير وطلحة ، فقال: قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة ، وانهما لن يطاوعانا ،ولم يجد الفريقان بدا من القتال .

٦ ــ موقعة الجمل ١٠ جمادى الآخرة سنة ٣٦ هجرية :

وكانت عائشة فى هودجها وقد جللته بالحديد وهى بمكة وجعلت فيه موضعا لعينها وهى فى عسكر أهل البصرة ، ونفذ القضاء ووقع المحذور والتقى الجمعان .. فى موقعة شرسة ، كل فريق يحمل على الآخر ، وأهل البصرة وشجاعتهم وذوو النجدة منهم يلوذون بجمل عائشة يدافعون عنها حتى لا تصاب بشر ، فقتل حوله خلق كثير .. ولما رأى على كثرة القتلى حو لالجمل وأن الناس يستميتون

دونه ولا يسلمونه أبدا .. نادى : اعقروا الجمل .. فجاء الى الجمل رجل من خلفه فعقره وسقط الهودج .. فجاء محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر واحتملا الهودج فنحياه عن القتلى وخرج بها محمد حتى أدنى البصرة .

ولما ظهر الضعف فى الناس تركهم الزبير وولى وجهه شطر المدينة ، فأتبعه عمرو بن جرموز حتى اذا كان بوادى السباع قتله .

وسقط فى هذه الموقعة المشئومة عشرة آلاف مقاتل فيهم كثير من اعلام المسلمين وذوى المروءة والنجدة منهم الزبير وطلحة ومحمد بن طلحة وعبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد وكثير غيرهم من قريش ، حتى قالوا : قتل حول الجمل سبعون قرشيا .

ولما انتهت الموقعة صلى على على القتلى من الفريقين وأمر بدفنهم جميعا .. ثم زار السيدة عائشة رضى الله عنها بالبيت الذى نزلت فيه وقعد عندها فصاحت به صفية بنت طلحة الطلحات : أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادى .. فلم يرد عليها شيئا .. ثم خرج فأعادت عليه القول .. فلم يرد عليها .. فقال رجل أغضبه مقالها : يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهى تقول ما تسمع ؟ .. فانتهره وهو يقول : ويحك .. انا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات أفلا نكف عنهن وهن مسلمات ؟!! .. وأمر بالسيدة عائشة فجهزت الى المدينة خير جهاز ..

وانه لفى طريقه اذ أخبره بعض أتباعه عن رجلين ينـالان من عائشة فأمر بجلدهما مائة جلدة .. ثم جاء يوم رحيلها فودعها بنفسه أكرم وداع ، فقالت معترفة له بحسن صنيعه : « انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المراة واحمائها ، وانه عندى لمن الأخيار » .

وقال على : « أيهاالناس .. صدقت والله وبرت وانه ما كان بينى وبينها الا ذاك ، وانها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة » .

وكان على قد ارسل معها من يخدمها ويحف بها .. وقيل انه ارسل معها عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم وتلدهن بالسيوف ، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز ان يذكر به وتأففت وقالت : هتك سترى برجاله وجنده الذين وكلهم بى .. فلما وصلت الى المدينة القى النساء عمائمهم وقلن لها : انما نحن نسوة !! .

فكانت هذه المروءة سنته مع خصومه من استحق منهم الكرامة ومن لا يستحقها ، من كان فى حرمة عائشة رضى الله عنها ومن لم تكن له حرمة قط .. وهى أندر مروءة عرفت من مقاتل فى عز القتال .

٧ ـ تمرد معاوية بالشام وموقعة صفين :

انصرف على من البصرة الى الكوفة .. وقد أخذ البيعة من كل من جرير بن عبد الله البجلى وكان عاملا

على همذان والأشعث بن قيس الكندى وكان عاملا على اذربيجان .. وارسل الى معاوية حتى يوفيه بالبيعة .. وكتب اليه كتابا يعلمه فيه اجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير .. ومن كان من حربه اياهما .. ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من الطاعة ..

ولكن داهية الشام وثعلب السياسة والحيلة .. رد اغلظ رد وهذاما تجلى فى كتابه الذى ارسله الى على يقول فيه : « سلام عليك .. أما بعد .. فلعمرى .. لو بايعك الذين ذكرت وانت برىء من دم عثمان لكنت كأبى بكر وعمر وعثمان ... ولكنك أغريت بدم عثمان .. وخذلت الانصار .. وقد أبى أهل الشام الا قتالك .. حتى تدفع لهم قتلة عثمان .. فان فعلت كانت شورى بين المسلمين !.. وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم .. فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام .. ولعمرى .. ما حجتك على أهل الشام كحجتك على طلحة والزبير .. ان كانا بايعاك .. فلن ابايعك أنا .. فأما فضلك فى الاسلام وقرابتك من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلست أدفعه » ..

ونلاحظ من رد معاوية انه لا يقر بالخلافة لعلى .. وثانيا يريد أن يثير العصبية القبلية ... وثالثا .. يؤكد انه ما زال يركب موجة قميص عثمان .. ومن هذا الرد يبدو أن نية معاوية واضحة فى فتح أبواب الخلاف واحدا

بعد واحد .. وكلما اغلق باب منهـــا بقى من ورائه باب مفتوح لا ينتهى الخلاف باغـــلاقه .. فتسليم قتلة عثمان لا يكفى ... لأن عليا نفسه متهم بالاغراء والتخـــذيل .. وبراءة على من هذه التهم لا تكفى لأن المـــرجع بعـــد ذلك الى الشورى .. والنظر فى البيعة من جـــديد .. وشورى الحجازيين والعراقيين لا تكفى لأن الحق خرج منهم الى أهـــل الشام ... وهم الحكام على الناس ... لأنهـــم يحكمون لمعاوية .. ولا يحكمون لغيره ... ومن ثم بطلت الحجـــج والرسائل كما تبطل كل حجة وكل رســـالة عندما يقـــال باللسان ما يجول بالصدر ...

ولم يكن بد من المواجهـــة بين الفريقين ... ففى ذى الحجة سنة ٣٦ هـ كانت الفرقة من جيش العـــراق تخـــرج لتقابل مثيلتها من جيش الشام فيقتتلون .. ولا يزال الفريقان على هـــذا الحال حتى أهل المحرم فتوادع الفريقـــان الى انقضائه طمعا فى الصـــلح .. واختلفت بينهما الرسل فى ذلك ...

٨ ـ ووقت الواقعة :

انسلخ شهر المحرم ولم تسفر الوســـاطة عن نجاح او تقدم وبدت فى الأفق نذر الحرب ... واخـــذ معـــاوية وعمرو بن العاص ينظمان الجيوش ... وفعل على مثلهما ... وقال لجنوده يلقنهم آداب الحرب وروح الفروسية فى الاسلام : لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم ... فأنتم عـــلى حجة

وتركهم حتى يقاتلوكم حجـــة أخــرى .. فاذا هزمتوهم فلا تقتلوا مدبرا .. ولا تجهزوا على جريح .. ولا تكشفوا عورة ... ولا تمثلوا بقتيل ... واذا وصلتم الى رحـــال القوم فلا تهتكوا سترا ... ولا تدخلوا دارا ... ولا تأخذوا شيئا من أموالهم ... ولا تهينوا امـــرأة ... وان شتمن أعراضكم .. وسببن أمراءكم وصلحاءكم ... فانهن ضعاف القوى والأنفس ...

وفى الأربعاء الثامن من صفر سنة ٣٧ هـ .. زحف على بجنود أهل العراق .. وزحف له معاوية بجنود أهل الشام فى يوم مشئوم .. أسدل الليل سواده عليهم ولـــما تكتب الغلبة لأحد من الفريقين بعد .. ثم أعادوا الكرة فى الغـد فى حملة شديدة استمر القتـــال طوال النهـار والليـــل وهى الليلة المسماة بليـلة (الهرير) وفى غمار المعـــركة وحين بدت معـــالم النصر تلوح لجنـد على .. لجـأ أهل الشام الى الحيلة فرفعوا المصاحف على أسنة الرمـاح .. وقال قائلهم : هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم ، .. من لثغور الشام بعد أهل الشام ؟ .. ومن لثغور العراق بعـد أهل العراق ؟ ... فلما رأى أهل العراق المصاحف مرفوعة .. قالوا : نجيب الى الله ... ولكن عليا رأى أن هذه خدعة من قبل معاوية وعمرو وأصـــحابهما ... ورأى استمرار القتال .. ولكنه أمام اصرار أصحابه نزل على رغبتهم حينما هددوه ورأى أن الفتنة على وشك الوقوع بين صفوفه ... فأمر بوقف القتال ... وأرسل الى معـــاوية الأشعث بين

قيس فسأله : لأى شيء رفعتم هذه المصاحف ؟ ... فقال معاوية : لنرجع نحن وأنتم الى أمر الله عز وجل فى كتابه .. تبعثون منكم رجلا ترضون به .. ونبعث منا رجلا ... ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله ... لايعدوانه .. ثم نتبع ما اتفق عليه ...

وحسما للدماء .. ارسل على ابا موسى الأشعرى على مضض منه ... نظرا لماضيه معه حينما تخلى عنه فى الكوفة وخذله ... ولأن الرجل كان قليل الحيلة وعديم الخبرة بالسياسة وفنون الحرب ... واختار معاوية داهية العرب : عمرو بن العاص ... ليمثله ..

***

قرار التحكيم :

اجتمع الحكمان بدومة الجندل ... التى وقع عليها الاختيار لتكون وسطا بين العراق والشام ... ولم يكن قرار الحكمين خافيا على من عرفوا ابا موسى الأشعرى .. وعمرو بن العاص ... فالأول لا يكتم قط أن السلامة فى اجتناب الفريقين والقعود عن القتال .. فليس أيسر من اقناعه بخلع صاحبه .. وخلع معاوية على السواء ... ثم يرجع الراى الى الثانى فى اقرار هذا الخلع أو الاحتيال فيه بالحيلة التى ترضيه ... ولم تكن نتيجة هذا التحكيم

لتخفى عنه الدعاة الماكرين من أمثال المغيرة بن شعبة ... حين ذهب الى معاوية وقال له : أنا أحسب أبا موسى خالعا صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد ... وأحسب هـــواه فى عبد الله بن عمر بن الخطاب .. أما عمرو بن العاص فهــو صاحبك الذى عرفته .. وأحسبه سيطلبها لنفسه أو لابنه عبد الله ... ولا أراه يظن انك أحق بهذا الأمر منه ...

... وقدكان .. فما اجتمعا حتى أقبـــل ابو موسى على عمرو يقول : يا عمرو .. هل لك فى ما فيه صـــلاح الأمة ورضاها ؟ .. قال : وما هو ؟ .. قال : نولى عبد الله ابن عمر فانه لم يدخل نفسه فى شىء من هذه الحروب ... فصمت عمرو فكرا وحيلة ... موهما صـــاحبه أنه يريد معاوية ! ثم عاد يسأله : فما يمنعك من ابنى عبد الله مـــع فضله وصلاحه وقـــديم هجـــرته وصحبته ؟ ... فأوشك أبو موسى أن يجيبه لولا أنه قال : ان ابنك رجل صــــدق ولكنك غمسته فى هذه الحروب غمسا ... وتكررت بينهما هذه اللقاءات حتى وقر فى خلد الاثنين أن خلــــع الزعيمين أمر لا مناص منه .. ولااتفاق بينهما على غيره .. فتواعدا الى يوم يعلنان فيه هذا القرار ... وجاء اليوم المشهود .. وتقدم أبو موسى ... وقال بعد تمهيد : أيهـــا النـــاس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة .. فلم نر أصلح لأمرها ولا الـــم لشعثها من أمر قد أجمع رأيى وراى عمرو عليه .. وهـــو أن نخلع عليا ومعاوية وتستقبل الأمة بهذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم .. وانى قد خلعت عليـــا ومعـــاوية ...

فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ..

وتلاه عمرو .. فقال بعد تمهيد : ان هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ! .. وأثبت صاحبى معاوية .. فانه ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه .. والطالب بدمه .. وأحق الناس بمقامه ! ..

واستيقظ الأشعرى على هول المفاجأة بعد أن أدرك انه قد وقع فى الشرك الذى نصبه له عمرو .. فصاح فيه غاضبا : مالك !! .. لا وفقك الله ... غدرت وفجرت .. انما مثلك مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث .. أو تتركه يلهث .. فابتسم عمرو فى خبث وهو يقول : انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا !!...

١٠ ـ الخوارج :

كان من الطبيعى أن تكون هناك فئة تقف موقفا معارضا للتحكيم .. بل هى تنكره أساسا .. بل غالت هذه الفرقة فى رأيها وذهبت الى تكفير الحكمين فخرجوا عن اجماع الأمة وشقوا عصا الطاعة على (على) فاستحقوا أن يطلق عليهم لفظ « **الخوارج** » ...

فقد اجتمعوا فيما بينهم وأبرموا أمرا ... وقالوا : ان هذين الحكمين قد حكما بغير ما أنزل الله ... وقد كفر اخواننا حين رضوا بهما ... وحكموا الرجال فى دينهم ... وقد أصبحنا والحمد لله ونحن على الحق ما بين هذا الخلق ...

وقد زاد من صعوبة الأمر المهزلة التى انتهى التحكيم بها مما أضعف موقف على ... واغرى هذه الفئة بالمروق والتمرد ... وقد أبى على قتالهم حتى ييأس من توبتهم .. وآثر أن يقنعهم عن طريق الحوار والاقناع ... ويرجعهم الى حظيرة الجماعة ..

ولتحقيق ذلك اقترح عليهم أن يخرجوا اليه رجلا منهم يرضونه ليسأله ويجيبه ... ويتوب أن لزمته الحجة ... ويتوبوا ان لزمتهم ... فاخرجوا اليه امامهم عبد الله بن الكواء ...

وقال على : ما الذى نقمتم على بعد رضاكم بولايتى وجهادكم معى وطاعتكم لى ، فهلا برائتكم منى يوم الجمل ؟..

قال ابن الكواء : لم يكن هناك تحكيم ..

قال : يا ابن الكواء ويحك ... انا أهدى أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ...

قال ابن الكواء : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال على : قد سمعت قول الله عز وجل : **(قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم)**.. أكان الله يشك انهم هم الكاذبون ؟ ..

قال ابن الكواء : ان ذلك احتجاج عليهم وانت شككت فى نفسك حين رضيت بالحكمين .. فنحن أحرى أن نشك فيك !! ...

قال على : وان الله تعالى يقول : (**فائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه**) ...

قال ابن الكواء : ذلك أيضا احتجاج منه عليهم ...

ثم قال بعد كلام طويل من قبيل كلامه هذا : انك صادق فى جميع قولك غير أنك كفرت حين حكمت الحكمين !!.

قال على : ويحك يا ابن الكواء .. انى انما حكمت ابا موسى وحكم معاوية عمرو ..

قال ابن الكواء : فان ابا موسى كان كافرا !!..

قال على : متى كفر ؟ .. احين بعثته أم حين حكم ؟..

قال ابن الكواء : بل حين حكم ...

قال على : افلا ترى أنى انما بعثته مسلما فكفر فى قولك بعد أن بعثته ؟ .. ارأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من المسلمين الى ناس من الكافرين ليدعوهم الى الله — وقد حدث هذا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم اذ أوفد نهارا الرجال ليهدى قوم مسيلمة فانقلب هنالك مبشرا بدينه — فدعاهم الى غيره ، هل كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شىء ؟

قال : لا ...

قال : ويحك .. فما كان على ان ضل ابو موسى ؟ ... افيحل لكم بضلالة ابى موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس ؟ .

فعلم الخوارج أن صاحبهم ليس بند لعلى فى مجال النقاش ، فكفوه عن الكلام كأنهم آمنوا بصدق على حجته وقصده ... لولا أنهم قوم قهرتهم لجاجة العناد كما تقهر أمثالهم من المتهوسين الذين يجدون فى المضى مع العناد لذة لا يستمرئونها من الحق والمعرفة ... فأصروا على تكفير على وأصحابه وأن يعاملوهم فى الحرب والسلممعاملة الكفار ...

ولم يترك على بابا للسلم الا وطرقه ... ولكى يعطيهم فرصة أخيرة للرجوع عن غيهم رفع فى الساحة راية ضم اليها ألفى رجل ونادى : من ألتجأ الى هذه الراية فهو آمن ... ثم قال لأصحابه : لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم ... فصاح الخوارج : لا حكم الا لله ... وان كره المشركون ... وهجموا هجمة رجل واحد فتلقاهم على وأصحابه بعد نفاذ صبر ويأس من إيابهم ... وتكلمت السيوف والرماح ... وان هى الا ساعة حتى استطاع شيعة على أن يقضوا على معظم الخوارج .. ولم يبق منهم سوى أربعمائة أصيبوا بجراح وعجزوا عن القتال ... فأمر بهم على فحملوا الى عشائرهم لينظروا من فيه رمق فيدركوه بعلاج !! ..

١١ ـ وانقسم الأتباع :

مسكين الامام على !! ومظلوم بين أتباعه .. لا يكاد يخرج من فتنة وينجح فى القضاء عليها ويستعد لبناء الدولة

الجديدة حتى تلوح له فتنة أشد ومحنة أنكى ... فهو لم يكد يقضى على فتنة الجمل حتى ظهرت له صفين .... التى تلاها التحكيم الهزيل الذى لم يفق منه حتى استيقظ علـى ضجيج الخوارج ... ولم تكن الخوارج آخـر الآلام ... أو نهاية المطاف ... ولم يبق بعد ذلك الا أن ينقسم أصحابه عليه ... لتتم المأساة ... ورحمك الله ياعلى فقد ساقتك الأقدار الى اناس لا يجتمعون على رجل واحد .. ولا يحزمون امرهم على راية .. وانهـا لبطـولة ورباطة جأش ... ومسئولية كبرى ينوء عن حملها افذاذ الرجال ...

لقد اراد الامام كرم الله وجهه ورضى عنه أن يسير الى الشام بعد قتال الخوارج ليلقى بها جيش معـاوية ويقضى على مشعلى الفتنة بها ... ويلم الشمل ... فاذا بالأشعث ابن قيس يتصدى له كما تصدى له فى كل فرصـة سانحة للغلبة ... وقال له عـلى سمع من النـاس : يا أمير المؤمنين ... نفدت نبالنا .. وكلت سيوفنا ... وفصلت أسنة رماحنا ... فارجع بنا الى مقـرنا لنستعد بأحسن عدتنا .. ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عـدة من هلك منا ... فانه أوفى لنا من عدونا ... ولم يكن الرجـل مخلصا فى قوله ... بل كان يرمى الى هـدف خبيث ... فالناس الآن وبعـد القضـاء على الخوارج على رأى رجل واحد ... وكانوا من الترابط والقوة بحيث لو توجهوا الى معسكر الفتنة بالشام لأخمدوها ... ولاستتب الأمر لعلى ولكنها ارادة الله ...

لقد رجع الناس الى النخيلة وعسكروا بها وامرهم على أن يلزموا عسكرهم وان يوطنوا أنفسهم على الجهاد ... وأن يقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم ... حتى يسيروا الى عدوهم ... لكن الجنود تسللوا من معسكرهم ... ولاذ من لاذ بالمدن القريبة منهم ... وأيقن على أن القوم مارقون من يده ... ولا طاعة له عليهم اذا دعاهم بعدها للقتال ...

١٢ — الأمر الواقع !! ...

وبينما تفرق الناس من حول على هنا .. نجد أن معاوية قد علا نجمه هناك بين قومه ... واعانه طلاب المنافع عامدين ... وأعانه الخوارج غير عامدين ... فحاربوا عليا ولم يحاربوه ... وطلبوا التوبة من على ولم يطلبوها منه ... فلم تنقض سنتان حتى كانت معه مصر والمدينة ومكة ...

وبقى على فى أرض الكوفة بائسا منعزلا عن الناس .. يتمنى الموت كما قال فى بعض خطبه ... وانتهى بقبول المهادنة بينه وبين معاوية على أن تكون له العراق ولمعاوية الشام ... ويكفا السيف عن هذه الأمة فلانزاع ولا قتال ..

***

وقتل الإمام ..

... واكتملت المأساة ...

لقد اجتمع ثلاثة نفر وهم .. عبد الرحمن بن ملجـم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكـر التميمى ... والثلاثة من غلاة الخوارج الموتورين ، الذين أعماهم الحقـد وحجب عنهم نور البصـيرة التعصب الأعمى ... فتذكروا القتلى من رفاقهم وتذاكروا القتلى من المسلمين عامة ... والقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة من الكفار — أو أئمة الضلالة فى رأيهم — وهم على بن ابى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ...

فقال ابن ملجم : انا اكفيكم على بن أبى طالب ...

وقال البرك : انا اكفيكم معاوية بن أبى سفيان ...

وقال عمرو بن بكر : انا اكفيكم عمرو بن العاص ...

ولم يكن الدافع الدنيوى خافيا فى مثل هذه الأمور ... فأحدهم وهو المتهوس عبد الرحمن بن ملجم كان يحمـل فى

صدره ضغينة الثأر والانتقام ، بالاضافة الى حـافز الغرام الظامىء الذى لا يرويه الا دم ذلك الشهيد الكريم ...

فقد كان ابن ملجم يحب فتاة من تيم الرباب ... قتل أبوها وأخوها وبعض أقاربها فى معركة الخوارج ... وكانت توصف بالجمال الفائق والشكيمة القوية ... وتدين بمذهب قومها فوق ما فى جوانحها من لوعة الحزن على ذويها ... فلما خطبها ابن ملجم كان مهرها هو قتل على ولـم ترض به زوجا الا أن يشفى لوعتها ...

يقول لها ابن ملجم : ومايشفيك ؟ ...

قالت ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة ـ مغنية ـ وقتل على بن أبى طالب !!

فوعدها خيرا (شرا) !!...

وتحدث المفاجأة والمصادفة العجيبة ...

يخرج الثلاثة متواعدين الى ليلة واحدة ... ليقتل كل منهم صاحبه ...

فأما عمرو بن العاص ... فقد اشتكى وجع بطنه فلم يخرج تلك الليلة من بيته !!.. وأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته أن يصلى بالناس ... فضربه عمرو بن بكر وهـو يحسبه عمروا .. فقتله ... فقال عمرو بن العاص : اردتنى وأراد الله خارجة ... وأمر بقتله .

اما معاوية ... فضربه البرك بن عبد الله وقد خـــرج الغداة للصلاة ... فوقعت الضربة على اليته.. ... وقيل ان الطعنة مسمومة لا يشفيها الا الكى بالنار او شراب يمنع النسل ... فجزع من النار ... ورضى بانقطاع النسل .. وهو يقول : فى يزيد وعبد الله ما تقر به عينى ... وأمـــر بالرجل فقتل لحينه .

واما على ... فلم يخطئه ابن ملجم ... فضربه فى جبينه بسيف مسموم وهو خارج للصلاة ... فمات بعـد ايام ... ويظل — رضى الله عنه — حتى آخر لحظة متمسكا بمبادىء العفو والصفح مع الد اعدائه .. فيحذر اوليـاء دمه من المثلة ... ويقول لهم : يا بنى عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين ... تقولون : قتل امير المؤمنين .. قتل أمير المؤمنين ... الا لا يقتلن احـــد الا قاتلى !!... انظر يا حسن ان انا مت مـن ضربته هـذه فاضربه ضربة بضربة ... ولا تمثل بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((**إياكم والمثلة ... ولو إنها بالكلب العقور**)) !! ..

ويطوى التاريخ صفحة ذهبية ... كتب فيها بأحرف من نور انبل المعانى وأسمى المثل ... وبمـوته رضى الله عنه ... ودع الناس فقيها ضليعا ... وعالما ورعا ... ومجاهدا سباقا ... وفارسا مغوارا ...

وما أروع القائل معلقا على هذه الخاتمة :

إنها خاتمة فاجعة تصور لنا شيئا كما تصوره البيعة كلها من قبل ابتدائها إلى ما بعد انتهائها ... وذلك هو النسيج الانسانى النابض الذى يتخلل حياة على ... فما من حادثة من حوادث هذه الحياة النبيلة الا وهى معرض حافل للعواطف الانسانية برمتها ... تلتقى فيه عوامل النخوة والشجاعة والوفاء والايمان والسماحة ... وتشتبك فيه مطامع الناس وأشواقهم وظواهرهم وخفاياهم ... ذلك الاشتباك الذى يخلقه الشعراء خلقا فى القصص والملاحم.. فلا يحكمونه بعض احكام الواقع الملموس فى سيرة الامام ...

وهذه مزية على بين خلفاء الاسلام قاطبة ... ينفرد بها لأنه انفرد بمثال من النفوس ومثال من العصور ومثال من العوارض الفردية والاجتماعية تؤلفه المصادفات فى الأجيال الطوال ... ولا تحسن أن تؤلفه بمشيئتها فى كل جيل ... تلك حياة حى ... ومصرع شهيد ...

ويختم على حياته الحافلة بهذه الوصية الكريمة يوصى بها ولديه .. فيقول : أوصيكما بتقوى الله ... والا تبغيا الدنيا وان بغتكما ... ولا تبكيا عن شىء زوى عنكما ... وقولا الحق وارحما اليتيم واغيثا الملهوف واصغيا للآخرة .. وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا .. اعملا بما فى الكتاب لا تأخذكما فى الله لومة لائم ... ثم نظر الى محمد ابن الحنيفة فقال : هل حفظت ما أوصيت به اخويك ؟

قال : نعم ... فقال : انى أوصيك بمثــله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك ، فاتبع أمرهما ولا تقطــع أمرا دونهما ... ومــا زال يوصيهم بمحاسن الأخـــلاق والتقوى ... وما زال يقول : لا اله الا الله ... حتى قبض صبيحة يوم الاحد ١٧ رمضان سنة ٤٠ هجرية بعد أن بلــغ من العمر ثلاثا وستين سنة ... وكانت خــلافته ــ رضى الله عنه ــ خمس سنوات الا ثلاثة أشـهر .

* * *

فى زهد الإمام وسياسته ..

زهد على من زهد عمر ... راشدى من راشدى ...

وكلاهما عن رســـول الله صلى الله عليــه وســلم ملتمس .. !!

وكمـا كان عمـر مثلا أعلى فى الزهــد ... كان على كذلك . والفرق بين سياسة الرجلين ... أن الأول حـكم أمثال على ... أما الثانى حكم أمثـال الخوارج . وتلك سنة الله فى حركة الحياة !!

وليس زهد على لونا من الاشتراكية ، فهذه الكلمـة النابية التى تمتد جذورها الى مضمون فلسفى مـادى ... والى نظرة جماعية تسحق الفرد وتمكن طبقة مـن « أثرياء الاشتراكية » من السطو على مقدرات الشعب ... باسم الشعب ... ومن قتـل الشعب ... باسم الشعب ... وافقار الشعب واذلاله ... باسم الشعب !!

هذه الكلمة المستحدثة لم يكن يعرفها هذا الجيل ...

ولا يجوز اسقاطها على أعماله ... لأن تكاملية الاسلام لا تسمح بهذا التشقيق !!

ولهذا .. فليس صحيحا لا منهجيا ولا علميا ... ولا تاريخيا .. ولا اسلاميا ما قاله (خليل الهنداوى) فى كتابه (مع الامام على) (ص ١٠٦) ... قال : « وعلى اول من ظهرت عليه آداب الاشتراكية فى الاسلام روحا وواقعا ، وقد كانت هذه الاشتراكية سائدة فى زمن خلافة الصديق وعمر — ولما جاء عثمان — وهو تاجر بطبعه — بدأ نظام الخلافة يبتعد عن الروح الاشتراكى ويجيز التملك على مدى واسع ، وتعطى فيه القطائع الفخمة ، وتنفق الأموال على سعة ، لكن عليا وما أشرب من روح الاسلام وما انشئت عليه نفسه من زهد وورع ، واستخفاف بالدنيا ، عاد الى الأخذ بهذه الاشتراكية، القائمة على ترويض النفس عليها .. لا على أنها نظام يشبه أنظمة الاشتراكية الحديثة » .

فهذا الكلام مرفوض جملة وتفصيلا ، حتى مع التحفظ الأخير الذى ذكره الكاتب ، وكما لا يجوز ان يقال أن الاسلام هو المسيحية لأنهما يحثان أو يشتركان فى الحث على الصدق والأمانة والحب والرحمة ...

كما لا يجوز هذا ، فانه لا يجوز أن يقال ان الاسلام دين الاشتراكية وان المسلمين اشتراكيون ... فما عمل على ولا عمر ولا أبو بكر ما عملوا خضوعا لنزعة فلسفية

... او نظرة مادية ... أو نظرة اجتماعية .. وانمـــا عملوه ــ أولا وأخيرا ــ للاسلام !!

وأدلة الزهد فى حياة على كثيرة ... بحيث تصلح كـــل مواقف حياته دليلا عليها .

وكما عاش أيام مكة وأيام العصر النبوى فى المدينــة حياة الزهد التى كانت سمة المجتمـــع بأسره ... فى فترة بنـــاء الحياة الاسلامية ... ووضـــع أسس الحضـــارة الاسلامية ــ كذلك عاش حياة الزهد وهـــو خليفـــة ... ولا فرق ... لأن المبدأ لا يتجزأ !! .

وكم كانت فاطمة زوجته ــ رضى الله عنها وهى ابنـــة نبى الأمة عليه الصلاة والسلام ــ كم كانت تتعب من مظاهر الفاقة ... وتطلب توفير الحد الأدنى من الحياة « وليس مجتمع الرفاهية » لكنها كانت تواجه بأبيها عليه الســـلام وبزوجها رضى الله عنه يذكران لها ما عند الله فى الآخرة ... وان ذلك خير وأبقى .. فتصبر هى الأخرى !!.

وأما حياة على فى ظلال الخلافة ، وهى تلك الحيـــاة الزاهدة العفة عن أموال المسلمين ــ الحريصة عليها ... فتؤديها هذه اللقطات الوجيزة التى نقتبسها ــ كمثـــال ــ من فيض لا حصر له من صور زهده رضى الله عنه ...

لقد كان وهو أمير المؤمنين يأكل الشعير وتطحنه امرأته بيدها ، وكان يختم على الجراب الذى فيـــه دقيق الشـــعير فيقول : **« لا أحب أن يدخل بطنى إلا ما أعلم »** !!

ويروى النضر بن منصور عن عقبة بن علقمة قال : دخلت على « على » ـ رضى الله عنه ـ فاذا بين يديه لبن حامض آذتنى حموضته وكسر يابسة ... فقلت : يا أمـير المؤمنين ، أتأكل مثل هذا ؟ فقال لى : يا أبا الجنوب ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يأكل أيبس من هـذا ويلبس أخشن من هذا ـ واشار الى ثيابه ـ فان لم آخذ بما أخذ به خفت الا ألحق به ... !!

* * *

كان أخوه عقيل كثير الأولاد ... غاية ما يكون فقرا وعوزا ... وقد أتى يوما الى أخيـه على ... خليفـة المسلمين ، يطلب اليه أن يعيره من بيت المـال ما يسد به رمق أولاده ويغنيهم الجـوع القـاتل ... لكن عليـا رده خائبا ... بل ادنى حديدة ملتهبة من جسمه .. فلما ضـج عقيل منها ... قال على له : « ثكلتك الثواكل يا عقيل !! أتئن من حديدة أحماها انسانها للعب ... وتجرنى الى نار سجرها جبارها لغضبه ... أتئن من الأذى ، ولا تئن من لظى » !!! ...

وعن مجمع التميمى ان عليا قسم ما فى بيت المال من المسلمين ، ثم أمر به فكنس ، ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له المكان يوم القيامة !! واخرج أبو نعيم فى الحلية عن على ابن أرقم أنه رأى عليا يبيع سيفا له فى السوق ، ويقول : من يشترى منى هذا السيف ؟ فوالذى فلق الحبة لطـالما

كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان عندى ثمن أزار ما بعته !!

وكان على يقسم ويقول :

والله الذى لا اله الا هو ما رزقت من فيئكم الا هذه ، وأخرج قارورة من كم قميصه ، فقال أهـداها الى مولاى دهقان !! وصدق خامس الراشدين ... عمر بن عبد العزيز وهو من أسرة أمية التى تبغض عليا وتلخلـق له السيئات وتخفى ما توافر له من الحسنات حين يقول :

أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب ...

* * *

أما ابنته فلها حكاية طريفة نترك ابن أبى رافع خازن بيت المال (وزير الخزانة) يحكيها كما وقعت ...

يقول ابن أبى رافع :

« كنت على بيت مال على بن أبى طـالب وكاتبه ، فكان فى بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة ، فأرسلت الى بنت على فقالت لى : انه قد بلغنى أن فى بيت مـال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ ، وهـو فى يدك ... وأنا أحب أن يعيرنيه أتجمل به فى يوم الأضحى ... فأرسلته اليهـا : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين ؟ فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعـد ثلاثة أيام ...

فدفعته اليها ... واذا أمير المؤمنين رآه عليها فعــــرفه ، فقال لها : من أين جاء اليك هذا العقد ؟ فقالت : استعرته من ابن رافع خازن بيت المال لأتزين به فى العيد ثم أرده !! فبعث الى أمير المؤمنين ، فجئته ، فقال لى : أتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ؟ فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين ...

فقال : كيف اعرت بنت أمير المؤمنين العقد الــذى فى بيت مال المسلمين بغير اذنى ورضاهم .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، انهـــــا بنتك ، وسألتنى أن أعيره لها تتزين به ، فأعرتها اياه عارية مضمونة مردودة ، على أن ترده سالما الى بوضعه .. فقال : رده من يومك ، واياك أن تعود الى مثله فتنالك عقوبتى !! ...

وبلغت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المــؤمنين ، أنا ابنتك وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه منى ؟ فقــال لها : يا بنت ابن أبى طالب ، لا تذهبى بنفسك عن الحق !! اكل نساء المهاجرين والأنصار يتزين فى مثل هذا العيد بمثـــل هذا ؟ والله لو لم تأخذيه عارية مضمونة مردودة لكنت أول هاشمية قطعت يدها فى الاسلام فى سرقة ... !! » .

***

اجـــل ....

كان الزهد سياسة على ... قبل الخلافة وبعدها .. وذلك لا يحتاج الى دليل .

وعندما قتل رحمه الله لم يترك غير ستمائة درهم ...
لا تساوى شيئا ... ورحم الله عليا ... ولا نامت أعـين
لصوص الشعارات من جماعة الثوريين البورجوازيين ...
أمراء الاشتراكية ... ودكتاتوريى الديمقراطية ... وملوك
الفتنة والطائفية !!

* * *

حرف على .. علم وحكمة

علم على من علم الاسلام ... فهو من أفقه النـــاس بالقرآن والسنة ... ومنهمـــا ... ومن مدرسة النبـــوة استمد ثقافته الدينية ... والبلاغية ... ايضـا .

والقرآن ــ كمـــا يقول على : **« ظاهره أنيق وباطنه عميق . لا تفنى عجائبه ولا تكشف الظلمات إلا به »** ...

ولا غرابة ــ اذن ــ فى أن يكون القرآن مصدر ثقافة (على) الأول ولا غرابة إذن أن يقول (على) فى موضـــــع آخـــر :

« تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصـــــدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص » ...

انه العلم الحق المستقى من مصادر العلم الأصيلة : أما علم الكهانة والنجوم فهو علم كذب ودجل وخرافة ... ويحذر منه على فيقول للناس : **« إياكم وتعلم النجـــوم ، إلا ما يهتدى به فى بر أو بحر ، فإنهـــــا تدعو إلى الكهانة**

والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر فى النار .. سيروا على اسم الله » ....

وهذا القول ينفى عن على — وحاشاه — أن ينسب اليه هذا الغثاء الذى نسب اليه ... عن علم الغيب .. أو ما سمى بكتاب « الجفر » والذى تطبعه مطابع مشبوهة ... وتصور فيه — برموز ومبهمات وباعتماد على أحلام وترهات — أن عليا قد رسم خريطة المستقبل ... مع ان ما هو أفضل من على — وهو محمد صلى الله عليه وسلم — قيل عنه فى كتاب الله الكريم :

« **لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء** » ... فمن أين لعلى — حاشاه — علم الغيب الذى ينسبونه اليه ؟ !!

واذا جاز أن عليا حذر من فتنة ستقع ، أو شيئا من هذا القبيل — فليس ذلك الا من باب ما يستطيع كل انسان فطن ذكى مؤمن أن يتنبأ به !!

« اتقوا فراسة المؤمن » وقد تنبأ بعض الناس — ومنهم المؤرخ ابن حيان — بزوال ملك المسلمين فى الأندلس قبل زوالها بأربعة قرون .. فهل كان ابن حيان المؤرخ يعلم الغيب ؟ أم أنها مقدمات يستطيع المرء أن يتنبأ بنتائجها .. كما يدل اهمال المذاكرة على الرسوب ، وكما يدل العمل المتقن على النتيجة الطيبة ... وهكذا .. !!

وفيما يروى عن ابى عباس انه كان يقول : اعطم

(على) تسعة أعشار العلم ووالله لقــد شاركهم فى العشر الباقى .

وقال ــ أيضا ــ اذا ثبت لنـــا الشيء عن (على) لم نعدل الى غيره ... وحق (لعلى) ــ لذلك ــ أن يكــون المفتى والمستشار الدينى طيلة عهدى أبى بكر وعمر ... ثم فى فترة ما قبل الفتنة فى عهد عثمان ...

وعندما زوج النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فاطمة لعــلى ...

قال لها : (زوجتك سيداً فى الدنيا والآخرة) .

(وانه لأول أصحابى اسلاما وأكثرهم علمـــا واعظمهم حلما) .

فكأن كثرة علمه كانت من مؤهـــــلاته فى استحقاق فاطمة ...

وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أن عمــــر بن الخطاب كان ــ رضى الله عنه ــ يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن !!

ويبدو انه لهذا شاع قولهم « معضلة ولا أبا حسن لهــا » .

● وكان على يقول ــ ولا يملك غيره أن يقول مثــل مقالته :

« سلونى سلونى وسلونى عن كتاب الله تعالى فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أنزلت بليل أو بنهار » .

فكأنه رضى الله عنه كان يشعر بأن ما فى صدره انما هو أمانة يجب أن تؤدى ، وكان يريد أن يوضح لهم ما يمكن أن يكون محلا لاجتهادهم واختلافهم عن رسول الله ..

* * *

ويصح أن يقال : ان عليا رضى الله عنه أبو علم الكلام فى الاسلام ، لأن المتكلمين اقاموا مذاهبهم على أساسه كما قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ... أما الفقه ، فامامه الأكبر أبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد وجعفر بن محمد قرأ على أبيه وهكذا ينتهى الأمر الى على رضى الله عنه .

وقد قرأ مالك بن انس على ربيعة وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس وقرأ عبد الله بن عباس على « على » رضى الله عنه ... وقيل لابن عباس : أين علمك من علم ابن عمك ؟

فقال : كنسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط !! .

وعن ابن عباس وقد سأله الناس : اى رجل كان عليا ؟

فقال : كان جوفه ممتلئا حكمة وعلما وبأسا ونجدة ، مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت للناس :

من أفتاكم بصوم عاشوراء ؟ قالوا : على ...

قالت : على .. أما انه لأعلم الناس بالسنة ...!!

وما نظنه مع كثرة علمه ، وشديد حجته ، الا وقد امتلأ ثقة بنفسه فقد كان ملاك الأمر فى أخلاقه .. انه كان لا يتكلف اظهار شىء ولا يتكلف اخفاء شىء ... ولا يقبل التكلف حتى من مادحيه ... فربما أفرط الرجل فى الثناء عليه وهو متهم عنده فلا يدعه حتى يعلن له طويته ... ويقول : (أنا دون ما تقول ... وفوق مافى نفسك) ... !! وكانت قـلة التكلف هذه توافق منه خليقته الكبرى من الشجاعة والبأس والامتلاء بالثقة والمنعة ... وكان دائما عند قوله :

(علامة الإيمان أن تؤثر الصـدق حيث يضرك ... على الكذب حيث ينفعك ... والا يكون فى حديثك فضـل على علمك ... وأن تتقى الله فى حديث غيرك) !!

وما نظن علم (على) الا علم انسان مسلم يتخـذ العلم طريقه الى الآخرة ... يعمل بما يعلم ... ولا يتكلف التعالم ، ولا يتظاهر به ، ولا يعلن عنه !! وهو علم ايضا يستمد أصوله من أوثق المصـادر ويتحرك فى دائرة الفكر الاسلامى ... نصا وروحا .

وقد ذكرنا براعته من علم الكهانة والسحر والإخبـار بالمستقبل ــ وذكرنا رأيه فى ذلك ــ رضى الله عنه ــ .

ونحن نضيف هنا أن كثيرا من سجع الكهـان الـذى نسب اليه .. انما هو تحريف تأوله بعضهم واصطنعه له.. باسم الحب والتقـدير ... فما كان على رضى الله عنـه (سجاعا) يسجع كسجع الكهان ... وبالتالى فان كثيرا مما روى عنه فى هذا الباب يحتاج الى تمحيص وتدقيق .. سواء كان هذا الذى ورد عنه ـ ورد فى نهج البلاغة للشريف الرضى ... أو فى غيره .. !!

وانه لغريب الا نسمع لعـلى شيئا مـن ذلك أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وايام الراشدين الثلاثة ... فلما كانت الأمور على النحو الذى كانت عليه ... وظهرت طائفة تغالى فى علم (على) ظلما ... وتنسب اليه علمـا فوق علم البشر كان سهلا أن يخترع بعضهم له الأقـوال المزخرفة المزركشة ... التى لم يعرفها جيـل على ... والتى قضى عليها القرآن الكريم والحديث النبوى فيما قضى عليه من صـور التفيهق والتشدق والتعاظل ... والتكلف البغيض !!!

* * *

ورحم الله عليا ... المفترى عليه !!

* * *

القاضى العادل .. الذكى .

يعتبر تولى الامارة والقضاء فى الاسلام نهاية رحلة من العلم والدين والخبرة والثقة والبعد عن كل شبهة ...

ولهذا استحق (على) القضاء — والامارة ... بل استحق أن يكون رائدا فى هذا الباب .

وان له لأقضية صارت مثلا .. وهى تدل على قدم عال فريد فى فقه الاسلام .. وفقه حقائق الأشياء وابعاد الأمور ، كما أن له وصايا فى أسلوب الحكم أصبحت آثارا خالدة فى هذا الفن العملى الخطير .

وتكاد تجمع كتب السيرة الموثوق بها أن عليا كان ذا عقل قضائى نفاذ الى المشاكل . وقد تجلى ذلك منذ ولاه الرسول عليه الصلاة والسلام فى حياته قضاء اليمن اعتمادا على كتاب الله وسنة نبيه ، وعلى ما يتمتع به من عقل حصيف ...

كما تجلى ذلك فى كتابه الى (الأشتر النخعى) عامله

على مصر .. كما تدل على ذلك وصيته الأخرى لأحـــد عماله ـــ والتى يقول فيها :

« أما بعد فقد شكا دهاقين أهل بلدك منك غلظـــة وقسوة ، واحتقارا وجفوة ، فالبس لهم جلبـــابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، وداول لهم بين القسوة والرأفة ، وامزج لهم بين التقريب والإدناء ، والإبعاد والإقصاء » .

ويقول :

« واخلط الشدة بضغث من اللين ، وارفـــق ما كان الرفق أرفق ، واعتزم الشدة حين لا يغنى عنك إلا الشدة ، واخفض للرعية جناحك ، والن لهم جانبك وآس بينهـــم فى اللحظة والنظرة والإشارة والتحية ، حتى لا يطمع العظماء فى حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك » .

* * *

ومن أقضية (على) الدالة على علو كعبه وتوفيقـــه وفقهه لروح الاسلام وللنصوص ... وفطنته ـــ ما روى من أنه حين ذهب الى اليمن عرضت عليه قضية أربعة وقعـــوا فى حفرة حفرت ليصطاد فيها الأسد وقد سقط أول الأمـــر رجل ثم تعلق بآخر فجره اليه ، وتعلق الثـــانى بثالث ، والثالث برابع وهجم عليهم الأسد ... فماتوا جميعا .

فتنازع أولياؤهم حتى كادوا يقتتلون ، فقال عـــلى : انا أقضى بينكم ، فان رضيتم فهو القضاء ، والا حجزت بينكم

حتى تأتوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ليقضى بينكم ثم أمرهم أن يجمعوا من القبائل الذين حفروا البئر ربع الدية ، وثلثها ، ونصفها ، ودية كاملة ، للأول ربع الدية لأنه أهلك من فوقه ، وللذى يليه ثلثها لأنه أهلك من فوقه ، وللثالث النصف لأنه أهلك من فوقه (وهو واحد) وللأخير دية كاملة لأنه لم يهلك أحدا ... فأبوا أن يرضوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه عند مقام ابراهيم فقصوا عليه القصة ...

فأجاز قضاء على ..!!

ومن أقضيته التى تدل على قوة ادراكه وسرعة فهمه لدقائق مسائل العلم ... ما قيل من أنه جاءته أخت رجل ما ت،وقالت له : مات أخى عن ستمائة دينار ، فلم أرث منها الا دينارا واحدا ... فقال لها: لعل أخاك ترك زوجة وابنتين وأما ، واثنى عشر أخا .. وأنت ؟

— فقالت : نعم .

— قال : معك حقك من الميراث الذى خصك الله به !!

* * *

وجاء رجل الى معاوية رضى الله عنه ، فسأله عن مسألة ، فقال : سل عنها على بن أبى طالب فهو أعلم .. قال : يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب الى من جواب على . قال : بئسما قلت .. لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يغزره بالعلم غزرا ، ولقد قال له : ((**انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**)) !!

* * *

هذه شهادة معاوية لعلي — رضي الله عنهما — .

وهي كلمة حق يقولها معاوية — على الرغم مما كان بينهما ... خضوعا منه للعدل وللحق ((**ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا**)) ... بل ان معاوية يعنف الرجل لأنه يبغض عليا ...

وكيف يبغض مسلم رجلا جعله الرسول — صلى الله عليه وسلم — منه بمنزلة هارون من موسى ؟!!

وبالتالي .. وعلى الرغم من الخلاف حول التصورات والأساليب — مما أدى الى ما أدى اليه بين علي ومعاوية .. فاننا نعتقد أن « البغض » لم يكن أصل العلاقة بينهما ...

وقد اختلف محمد بن ابي بكرمع أخته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما .

كما اختلف كثير من الآباء مع الأبناء ، وكثير من الأخوة مع بعضهم البعض .

وقد كان المسلمون — على كثرتهم — منقسمين بين علي ومعاوية .. وكان أهل الشام مع معاوية ، مقتنعين به وبآرائه عن يقين .. كما أن اهل العراق ناصروا عليا —

عن يقين .. مصحوب بنزعة بعضهم فى الشقاق والخلاف !!

فكانت النتيجة لصالح معاوية فى الدنيا ... أما عند الله ... فالمسلم ملزم بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الجيل العظيم . وملزم بالاصغاء لقول الله تعالى فى كتابه الكريم فى مثل هذه القضايا التى لا وضوح فيهـــا .. : **((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون))** ..

ان هذا هو القضاء العدل فى هـــذه القضية الشائكة وعلى المسلم الالتزام بقضاء القرآن ...

* * *

وبعد ...

فان القول فى امير المؤمنين (على بن ابى طالب) سيظل ممتدا فى التاريخ لأنه قبس من نور الاسلام الخالد . . . ونور النبوة الوضيىء الذى لا ينطفىء وهجه .. ولا يخفت شعاعه .

وما علينا فى نهاية الشوط الوجيز الا أن ندع عليا رضى الله عنه ، يقدم لنا بعض كلماته — التى وردت عنه — نأخذها منه هدية الراشد الصالح للأمة التى نرجو أن تعود الى رشدها .. وتقتفى أثر هذا الجيل الفذ العظيم .. بدل أن تكون أمة بلا وزن .. من الرعاع والهمج الذين يتبعون كل مسيح دجال .

* * *

ان عليا يقول لنا :

● الناس ثلاثة : فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح .. لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا الى ركن وثيق .

● العلم خير من المـــــال .

● العلم يحرسك وانت تحرس المال .

● العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته وجميـــــل الأحدوثة بعد موته .

* * *

● لا تخلو الأرض من قائمين لله بحجة ، لئلا تبطـــــل حجج الله وبيناته .. أولئك هم الأقلون عددا ، الأعظمـــون عند الله قدرا ، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوهـــا الى نظرائهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباههم ... هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلانوا ما استوعر منـــه المترفون ، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالنظر الأعلى ... أولئك خلفـــــاء الله فى بلاده ، ودعاته الى دينه ... !!

* * *

● احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك .

● لا تظن بكلمة خرجت من أحد سوءا ، وانت تجد لها فى الخير محتملا .

● ان افضل الزهد هو اخفاء الزهد .

● اذا اقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غـــيره ، واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

● احذروا صولة الكريم إذا جـاع ... واللئيم إذا شبع .

● يا دنيا .. اليك عنى .

إلى تعرضت ؟ أم إلى تشوفت ؟ هيهات !! .

غرى غيرى .. لا حاجة لى فيك !!

قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعيشك قصير، وخطرك يسير ، واملك حقير ، آه من قلة الزاد ، وطول الطـريق ، وبعد السفر ، وعظيم المورد .

● خلاصة رأى الامام فى المرأة انها شر كلهـا ، وشر ما فيها أنه لابد منها ...

● خيار خصال النساء شرار خصال الرجال : الزهو والجبن والبخل ... فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن مـن نفسها ، واذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها ، وان كانت جبانة فرقت من كل شىء يعرض لها ..

● نفس المرا خطاه الى أجله ..

● المرء مخبوء تحت لسانه ..

● المرا مهاب حتى يتكلم ...

● من لان عوده كثفت أغصانه ...

● كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العـلم فانه يتسع ...

بيت على ...

تزوج على بن أبى طالب :

١ — فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهى أول زوجاته ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده ... وأنجب منها الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وهى زوج عمر بن الخطاب .

٢ — أم البنين بنت حزام من بنى عامر بن كلاب ... ولدت له العباس وجعفر وعبد الله وعثمان ..

٣ — ليلى بنت مسعود التميمية ... ولدت له عبد الله وأبا بكر .

٤ — أسماء بنت عميس الخثعمية ... ولدت له يحيى ومحمد الأصغر .

٥ — الصهباء بنت ربيعة من بنى جشم بن بكر ... وهى أم ولد من بنى سبى تغلب ... ولدت له عمر ورقية .

٦ — امامة بنت أبى العاص بن الربيع وأمها زينب

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولدت له محمدا الأوسط .

٧ ـــ خولة بنت جعفر الحنفية ... ولدت له محمدا الشهير بابن الحنفية .

٨ ـــ أم سعيد بنت عروة بن مسعود ... ولدت له أم الحسين ورملة الكبرى .

٩ ـــ محياة بنت امرىء القيس الكلبية ... ولدت له جارية ماتت صغيرة .

وكان له بنات منهن ... أم هانىء ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، وامامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة ، أمهاتهن أمهات أولاد شتى .

وكان النسل من ولده الخمسة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس ، وعمر ، رضى الله عنهم جميعا ...

ورضى الله عن على ... أمير المؤمنين ... ورابع الراشدين ... والتلميذ الأول فى مدرسة النبوة .

ورضى الله عن هذا الجيل المتفرد العظيم ...

* * *

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

* * *

دار العلوم للطباعة

القاهرة ، ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)

ت : ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٨١/٧٣٩٣

الترقيم الدولى : ١ — ٩٣ — ٧٣٢٨ — ٩٧٧

دار الإعتصام
٨ شارع حسين حجازى - تليفون ٣١٧٤٨/٢٦٠٣١ - ص.ب ٤٧٠ - القاهرة
للطبع والنشر والتوزيع

